الفصل الرابع

بصدد طبيعة حياة النفس أو الروح

320. فيما يتعلق بحياة الأرواح على وجه العموم، أي فيما يخص الذين توفوا لتوهم وصاروا إلى أرواح، فإن تجربتي الكبيرة أقنعتني بأنه حينما ينتقل الإنسان إلى الحياة الأخرى لا يعني أنه بات موجوداً في العالم الآخر. إنه يظن بأنه لا يزال يعيش في هذا العالم، وأنه لا يزال في جسده الفيزيائي. وتبقى الحال على ما هي عليه إلى أن يخبروه بأنه قد بات روحاً. فيصعق النبأ الشخص ويهز أعماقه، لأنه من جهة لا يزال ذلك الإنسان عينه من حيث الشعور، والرغبات والأفكار، ومن جهة أخرى لم يكن يؤمن بوجود الروح عندما كان في هذا العالم، أو لم يفكر أصلاً بأن الروح يمكن أن تكون كما اكتشفها الآن.

321. وتقوم الحقيقة العامة الأخرى في أن الروح تملك موهبة الإدراك، والتفكير والكلام بما يفوق كثيراً امتلاك الإنسان لهذه القدرات في حياته الدنيا، ويكون الفرق كبيراً إلى حد لا يمكن عنده المقارنة بين الحالين، مع أن الأرواح لا تعرف شيئاً عن هذا قبل أن يمنحها الرب إمكانية التفكر في هذا.

322. احذروا التصورات الباطلة التي توحي بأن الأرواح لا تملك قدرات إدراكية أكثر كمالاً بما لا يقاس من تلك التي كانت تملكها عندما كانت تعيش في الجسد. فقد اقتنعت بما هو عكس ذلك تماماً، استناداً إلى تجربتي الشخصية التي تكررت آلاف المرات. وإذا لم تكن لدى أحدهم رغبة في أن يصدق هذا الذي أقوله، بسبب قناعاته المسبقة حول طبيعة الروح، فليسمح بأن تقنعه بهذا تجربته الشخصية عندما ينتقل إلى الحياة الأخرى، حيث سيكون مرغماً على أن

يصدق هذا كله. فقبل كل شيء، إن الأرواح ترى، لأنها تعيش في النور؛ وتقيم الأرواح الطيبة، والأرواح الملائكية والملائكة في ظل نور ساطع بالكاد يمكن مقارنة النور الذي يتلقاه هذا العالم به. وسوف نتحدث بنعمة الله عن هذا في مكان آخر من هذا الكتاب. والأرواح تملك حاسة السمع أيضاً، وسمعها دقيق ورشيق إلى حد لا يجوز عنده مقارنة السمع الجسدي به. لقد تحدثت هذه الأرواح معي على امتداد سنوات كثيرة، وسوف أتحدث عن كلامها في مكان آخر من هذا الكتاب. وتملك الأرواح كذلك حاسة الشم. وحاسة اللمس عندها عالية الدقة، وتدعى هذه في الجحيم آلاماً وعذابات ممضة، لأن الأحاسيس كلها تنتمي إلى هذه الحاسة، وليست هذه الأحاسيس في واقع الحال سوى تنويعات لهذه الحاسة.

2. وللأرواح رغبات وأحاسيس لا يمكن عقد مقارنة بينها وبين تلك التي كانت تملكها في حياتها الدنيوية. وهو ما سنتوقف عنده بنعمة الرب في حينه. وتفكر الأرواح بدقة ووضوح أكبر بما لا يقاس مما كانت تفعله في حياة الجسد. فالفكرة الواحدة من أفكارها تنطوي على أكثر من ألف فكرة مما كان لديها خلال حياتها الدنيوية. وهي تتحدث بعمق ورشاقة ووضوح بحيث لو قدر للإنسان أن يدرك شيئاً ما من هذا لأصابه ذهول حقيقي. وقصارى القول، إن الأرواح تمتلك كل ما يملكه الناس، ولكن بصورة أكثر كمالاً، ما عدا الجسد والعظام والعيوب التي تستدعيها. فهي تدرك وتعرف بأنها حتى عندما كانت تعيش في الجسد، كان يستشعر فيها الروح على وجه التحديد، ومع أن القدرة على الإحساس كانت تتجلى في الجسد، إلا أنها لم تكن تنتمي إليه بأي حال من الأحوال؛ ولذلك فإنه عندما ينفصل الجسد تغدو الأحاسيس أكثر كمالاً. إن الحياة تتلخص في الإدراك، لأنها من دونه غير ممكنة، وكما يكون الإدراك تكون الحياة، وهذا ما يمكن لأي كان أن يتأكد من صحته.

323. وسوف نورد في خاتمة هذا الإصحاح أمثلة عن أناس كانوا يفكرون في أثناء حياتهم الدنيوية بطريقة مغايرة.

تكوين 4: 1 ـ 26

1. وعرف آدم حواء امرأته، فحملت وولدت قاين، فقالت: قد رزقت رجلاً من عند الكائن.

2. ثم عادت فولدت أخاه هابيل. فكان هابيل راعي غنم، وقاين زراعاً يحرث الأرض.

3. وكان بعد حين أن قدم قاين تقدمة للكائن من ثمر الأرض،

4. وقدم هابيل أيضاً شيئاً من أبكار غنمه ومن دهنها. فنظر الكائن إلى هابيل وتقدمته،

5. ولم ينظر إلى قاين وتقدمته. فاشتعل قاين غيظاً وسقط وجهه.

6. فقال الكائن لقاين: لماذا اشتعلت غيظاً؟ ولماذا سقط وجهك؟

7. لو كنت قد أحسنت أما كنت سترفع وجهك؟ وإن لم تحسن فعند الباب خطيئة رابضة؛ وهي تجذبك إليها، ولكن سدّ أنت عليها.

8. وتحدث قاين مع هابيل أخيه. وعندما أصبحا في الحقل وثب قاين على هابيل أخيه فقتله.

9. فقال الكائن لقاين: أين هابيل أخوك؟ قال: لا أعلم؛ وهل أنا حارس لأخي؟

10. فقال: ماذا فعلت؟ إن صوت دم أخيك صارخ إليّ من الأرض؛

11. والآن، ملعون أنت من الأرض التي فتحت فاها لتقبل دم أخيك من يدك؛

12. وإذا حرثت الأرض فلن تعطيك قوتها أيضاً. تائهاً شارداً تكون في الأرض؛

13. فقال قاين للكائن: إثمي أعظم من أن يغفر؛

14. إنك قد طردتني اليوم عن وجه الأرض، ومن وجهك أختبئ، وسوف أكون طريداً تائهاً على الأرض؛ وليقتلني كل من يجدني.

15. فقال له الكائن: لذلك فإن كل من يقتل قاين ينتقم منه بسبعة أضعاف. ووضع الكائن على قاين علامة كي لا يقتله من يجده.

16. وابتعد قاين من أمام وجه الكائن وأقام في أرض نود إلى الشرق من عدن.

17. وعرف قاين امرأته؛ فحملت وولدت أخنوخ (= حنوك. - م). ثم بنى مدينة سماها باسم ابنه أخنوخ.

18. وولد لأخنوخ عيراد؛ وولد عيراد محيائيل؛ ومحيائيل ولد متوشائيل؛ ومتوشائيل ولد لامك.

19. واتخذ لامك له امرأتين اسم إحداهما عادة واسم الأخرى صلّة.

20. فولدت عادة يابل، وهو أبو ساكني الخيام مع قطعانهم.

21. واسم أخيه يوبل، وهو أبو كل عازف على العود والمزمار.

22. وصلّة أيضاً ولدت توبلقايين، وهو معلم كل النحاسين والحدادين. وأخت توبلقايين، هي نعمة.

23. وقال لامك لامرأتيه عادة وصلة: اسمعا قولي يا امرأتي لامك وافهما كلامي: إني قتلت رجلاً لجرحي وطفلاً صغيراً لكسري.

24. وإذا كان الانتقام لقاين بسبعة أضعاف، فإن الانتقام للامك بسبعة وسبعين ضعفاً.

25. وعرف آدم امرأته أيضاً فولدت ابناً وسمته شيثاً، وقالت: لأن الله أقام لي نسلاً آخر بدل هابيل الذي قتله قاين.

26. ولشيث أيضاً ولد ابن وسماه انوش. حينئذٍ ابتدأ الناس يدعون باسم الرب.

obeikandl.com

المحتوى

324. إن الحديث يجري هنا عن بعض مبادئ الكنيسة أو عن بعض الهرطقات؛ ثم عن ظهور كنيسة جديدة تُدعى «انوش».

325. لقد كانت الكنيسة الأولى تؤمن بالرب عبر المحبة؛ بيد أنه ظهر فيها ناس فصلوا الإيمان عن المحبة. وقد دُعيت تعاليم الإيمان المفصولة عن المحبة «قاين»؛ أما الرحمة التي تعد محبة القريب، فقد دُعيت «هابيل» (الآيتان 1، 2).

326 . كما ورد وصف عابر لخدمة إلهية أخرى: الإيمان المفصول عن المحبة، هو تقدمة قاين، والرحمة تقدمة هابيل (الآيتان 3، 4). وقد اعتمدت الخدمة الإلهية النابعة من الرحمة، وليس تلك النابعة من الإيمان المنفصل (الآيتان 4، 5).

327. وتحولت حالة المقيمين على الإيمان المنفصل إلى شر. وقد انعكس ذلك في اشتعال قاين غضباً وسقوط وجهه (الآيتان 5، 6).

328. وبالرحمة تعرف ماهية الإيمان؛ وترغب الرحمة دوماً في أن تبقى مع الإيمان إذا لم يسد الإيمان ويرفع فوقها (الآية 7).

329. فقد انطفأت الرحمة في أولئك الذين فصلوا الإيمان ووضعوه فوق الرحمة. وقد انعكس ذلك في قتل قاين أخاه هابيل (الآيتان 8، 9).

330. ودُعيت الرحمة المطفأة «صوت الدم» (الآية 10)؛ ودُعيت التعاليم المحرّفة: «ملعون من الأرض» (الآية 11)؛ ودُعي الكذب والشر النابعان من هناك: «تائهاً شريراً في الأرض» (الآية 12). وبما أنهم ارتدوا عن الرب، فقد حاق بهم خطر الموت الأزلي (الآيتان 13، 14). ولكن بما أن الرحمة كان ينبغي أن تزرع فيما بعد عبر الإيمان، فقد حرم انتهاكها، وهذا ما انعكس في «العلامة التي وضعت على قاين» (الآية 15). ودل على ابتعاد الإيمان عن حالته السابقة بانعزال قاين و«إقامته إلى الشرق من عدن» (الآية 16).

331. ودعي شيوع هذه الهرطقة «أخنوخ» (الآية 17).

332. كما دُعيت الهرطقة التي نشأت عن هذه الهرطقة بأسماء أشخاص. وفي آخرها، المدعوة «لامك»، لم يبق أي إيمان (الآية 18).

333. وعندئذٍ ظهرت كنيسة أخرى دعيت «عادة وصلّة» ووصفت بأبنائهما «يابل» و«يوبل» و«توبل قاين»؛ وقد تمثلت السمات السماوية لهذه الكنيسة في «يابل» والروحية في «يوبل»، والطبيعية في «توبل قاين» (الآيات 19-22).

334. لقد وصف ظهور هذه الكنيسة عندما أطفئ كل ما ينبع من الإيمان والرحمة، وعندما انتهك كل ما كان محرماً (الآيتان 23، 24).

335. وموجز القول، إنه بعد أن دُعي الإيمان الذي فُصل «قاين»، وانطفأت الرحمة، وهب الرب إيماناً جديداً أعيد عبره زرع الرحمة. وقد دعي هذا الإيمان «شيثاً» (الآية 25).

336. ودعيت الرحمة التي زرعت عبر الإيمان «انوش»، أو «الإنسان» الآخر، وذلكم هو اسم هذه الكنيسة (الآية 26).

oberkandl.com

المغزى المكنون

337. بما أن الحديث يجري في هذا الإصحاح عن سقوط الكنيسة الأولى، أو عن تحريف تعاليمها، بالتالي عن هرطقاتها وفرقها المنضوية تحت اسم قاين وأسماء خلفائه، فإنه ينبغي أن نؤكد على أنه لا يمكن فهم كيفية تحريف تعاليم هذه الكنيسة، أو ماهية طبيعة هرطقاتها وفرقها إلا إذا كنا نعرف طبيعة الكنيسة الحقة. ونحن كنا قد تحدثنا كثيراً عن الكنيسة الأولى؛ وأشرنا إلى أنها كانت كنيسة سماوية ولم تعترف بأي إيمان آخر سوى الإيمان النابع من محبة الرب والقريب. فعبر هذه المحبة منح الرب الإيمان، أو الإدراك الحسي لكل شيء لكي لا يفصل هذا عنها؛ ولذلك لم تكن ثمة رغبة للتذكير بالإيمان كي لا يفصل عن المحبة.

2. هكذا كان الإنسان السماوي، وهكذا وصفته النماذج الأصل لدى داود، حيث الرب ملكاً، والإنسان السماوي ابناً لهذا الملك.

لسليمان: اللهم اجعل أحكامك للملك وعدلك لابن الملك... فلتثمر الجبال سلاماً للبشر والتلال براً؛ فيخشونك ما دامت الشمس والقمر إلى جيل الأجيال. يزدهر في أيامه الصدّيق ويكثر السلام إلى أن يزول القمر.

(مزامير 71: 1، 3، 5، 7)

إن «الشمس» تعني هنا المحبة؛ والقمر يعني «الإيمان، و«الجبال» و«التلال» تعني الكنيسة الأولى؛ و«جيل الأجيال» تعني الكنيسة بعد الطوفان؛ وقد قيل: «إلى أن يزول القمر»، لأن الإيمان سوف يصير محبة. انظر أيضاً أشعياء. 30: 26.

3. هكذا إذن كانت الكنيسة الأولى، وتلك كانت تعاليمها. ولكن الأمر في أيامنا هذه مغاير، لأن الإيمان يسبق الرحمة إلا أن الرب يهب الرحمة عبر الإيمان، وعندئذٍ تغدو المحبة في الطليعة. وهذا ما يستنتج من واقع تحريف التعاليم

في الأزمنة الأولى، عندما كان الناس يعترفون بالإيمان، وعلى هذا النحو فصلوه عن المحبة. وقد دُعي الذين حرفوا التعاليم على هذا النحو، أو فصلوا الإيمان عن المحبة، أي أقروا بالإيمان وحده، دُعوا «قاين»؛ وكان واقع الأشياء هذا وقتئذٍ ضلالاً كبيراً.

338. (الآية 1). وعرف آدم حواء امرأته، فحملت وولدت قاين، فقالت: قد رزقت رجلاً، من عند الكائن.

من المعروف أن «آدم وحواء امرأته» هما الكنيسة الأولى، وبكر هذه الأخيرة، هو الإيمان الذي دعي هنا «قاين». و«رزقت رجلاً من عند الكائن» معناها أن أولئك الذين دعوا «قاين» كانوا على معرفة بالإيمان، وأقروا بأنه موجود بذاته.

339. ونحن رأينا سابقاً أن «آدم وحواء امرأته» هما الكنيسة الأولى، لذلك فإنه من الواضح أن حملها وإنجابها كانت لهما الطبيعة عينها. لقد كان القدماء يدعون أبناءهم بأسماء تدل على أشياء حقيقية، وعلى هذا النحو كانوا يبنون أنساباً. ولذلك جاءت أشياء الكنيسة متوافق واحدها مع الآخر: يحمل أحدها بالآخر ويلده، كما في السلالات. ولذلك يدعو الكتاب المقدس ما ينتمي إلى الكنيسة «حملاً» و«ولادة»، و«ذرية»، و«فتياناً»... وأجزاء الكتاب التنبئية مليئة بمثل هذه التعابير.

340. ومعنى الكلمات: «قد رزقت رجلاً من عند الكائن»، أن المدعوين «قاين» كانوا على علم بوجود الإيمان، واعترفوا به موجوداً بذاته، وهذا واضح مما جاء في أول هذا الإصحاح. ولم يكن هؤلاء يعرفون من قبل، ما هو الإيمان، لأنهم كانوا يملكون الإدراك الحسي بكل شيء ينبع من الإيمان. لكنهم إذ بدؤوا يبرزون تعاليم الإيمان، أخذوا ما كان مادة للإدراك الحسي وجعلوا منه تعاليم. وقد دعوا تلك التعاليم «قد رزقت رجلاً من عند الكائن»، كما لو أنهم اكتسبوا شيئاً ما جديداً. وهكذا فإن ما رسمت معالمه على القلب من قبل، قد تحول الآن إلى معرفة بسيطة. وفي الأزمنة القديمة كان الناس يطلقون الأسماء على كل جديد، فهكذا كانوا يفسرون الأشياء، بربطها بأسماء. فمعنى اسم إسماعيل على سبيل

المثال، يفسره القول: «قد سمع الكائن صوت شقائك» (تكوين 16: 11)؛ ومعنى اسم رأوبيم يفسره القول: «(قد نظر الكائن إلى مذلتي» (تكوين 29: 32)؛ ويفسر معنى اسم شمعون القول: «قد سمع الكائن دعائي لأني غير محبوبة» (تكوين 29: 33)، ويفسر اسم يهوذا بالكلمات «هذه المرة أحمد الكائن» (تكوين 29: 35). ودعي المذبح الذي بناه موسى باسم: «الكائن رايتي» (خروج 17: 15). وعلى هذا النحو عينه دعيت تعاليم الإيمان هنا: «قد رزقت رجلاً من عند الكائن»، أو «قاين».

341. (الآية 2). ثم عادت فولدت أخاه هابيل. فكان هابيل راعي غنم، وقاين زراعاً يحرث الأرض.

لقد كان جيل الكنيسة الثاني هو الرحمة التي دعيت «هابيل»، أو «أخاً». فالتعبير «راعي غنم» يعني، ذلك الذي يصنع خير الرحمة؛ بينما تعني كلمة «زراع»، ذلك الذي لا تعرف الرحمة طريقاً إليه، ويتصرف حسب الإيمان مفصولاً عن المحبة، ومثل هذا الإيمان لا يعد إيماناً البتة.

342. وكون جيل الكنيسة الثاني هو الرحمة، أمر يتضح من كون لا تحمل وتلد سوى الرحمة. وهكذا يدعى أبناء ليئة الأوائل الذين أنجبتهم من يعقوب. «فرأوبيم» يعني الإيمان؛ وشمعون يعني الإيمان في أثناء لفعل؛ أمّا لاوي فيعني الرحمة (تكوين 29: 32، 33، 34). ولذلك أخذت ذرية لاوي الكهنوت ومثّلت «مذبح القطيع». وبما أن الرحمة هي جيل الكنيسة الثاني، فقد دعيت «أخاً» و«هابيل».

343- وينبغي أن يكون واضحاً لجميعهم أن «راعي القطيع» هو ذلك الذي يصنع الرحمة، لأنه غالباً ما نلتقي هذه الشخصية في كتاب العهد القديم كما في كتاب العهد الجديد. فالذي يقود ويعلّم، يدعى «راعياً»؛ ومن لا يقاد إلى عمل الخير ولا يتعلم كيف يصنع الخير، لا يدعى «قطيعاً». وبالكاد يكون من الضروري أن نؤكد بنصوص من الكتاب المقدس على أن هذا بالضبط هو معنى «الراعي» و«القطيع»؛ بيد أنه يمكننا أن نسوق المقاطع الآتية من كتاب أشعياء:

ويصب مطره على زرعك الذي تزرع به الأرض، فالخبز من غلة الأرض يكون وفيراً ندياً، وفي ذلك اليوم ترعى ماشيتك في مروج فسيحة.

(أشعياء. 30: 23).

«فالخبز غلة الأرض» تعني هنا الرحمة. ويقول أيضاً:

يرعى قطيعه كالراعي؛ ويجمع الحملان بذراعه ويحملها في حضنه، ويستاق المرضعات رويداً.

(أشعياء. 40: 11).

ويقول داود:

يا راعي إسرائيل اصح! يا هادي يوسف كالغنم، يا جالساً على الكيربيم تجل.

(مزامير. 79: 2).

ويقول إرميا:

هاأنذا أدمر الجميلة المترفة بنت صهيون فيأتي إليها الرعاة بقطعانهم ويضربون خيامهم حولها، ويرعى كل منهم في مرعاه.

(إرميا. 6: 2، 3).

ويقول حزقيال:

هكذا يقول الرب الإله: أكثّرهم بالبشر كالقطيع. ككثرة غنم الذبائح في أورشليم في أيام أعيادها، كذلك ستمتلئ بالبشر المدن التي خلت منهم.

(حزقيال. 36: 37، 38)

ويقول أشعياء:

كل غنم قيدار تجتمع إليك، وكباش نبايوت تخدمك

(أشعياء. 60: 7)

إن القطيع الذي يتجمع إلى الخير والرحمة، هو جوهر «الغنم المتجمع»، أما أولئك الذين لا يتجهون إلى الخير والرحمة، فإنهم جوهر «الغنم المتفرق»؛ لأن كل اجتماع واتحاد ينشأ عن الرحمة، وكل تشتت وفرقة ينشأ عن قلة الرحمة.

344. فما الذي يقدمه الإيمان، أي ما الذي يقدمه العلم، والمعرفة، وتعاليم الإيمان، إذا كان لا يساعد الإنسان على أن يغدو كما يعلّمه الإيمان أن يكون؟ إن الشيء الأساس الذي يعلّمه الإيمان، هو الرحمة «مرقس 12: 28-35؛ متّى. 22: 34-39). إن هذا هو الهدف الرئيس الذي يسعى الإيمان لتوجيه الإنسان نحوه، وإذا

لم يتحقق هذا الهدف، فما الذي يمكن أن تكونه المعرفة أو التعاليم سوى شيء فارغ سخيف لا طائل منه؟

345. أما «الزراع»، فإنه ذاك الذي لا يعرف الرحمة، لكنه مؤمن إيماناً لا يعرف المحبة، وهو إيمان لا يعد إيماناً البتة. ويتضح هذا مما يأتي: لم ينظر الكائن إلى تقدمته، قتل أخاه، أي قتل الرحمة المسماة «هابيل». وقد قيل عن الذين لا يلقون بالاً إلا لما هو جسدي وزمني، إنهم «يحرثون الأرض»، وهذا ما ورد في الإصحاح 3: 19، 23، حيث قيل: إن آدم «طرد من جنة عدن ليحرث الأرض».

346. (الآية 3). في آخر الأيام قدم قاين تقدمة للكائن من ثمر الأرض.

«في آخر الأيام» تعني مجرى الزمن؛ و«من ثمر الأرض» تعني شؤون الإيمان من غير محبة؛ و«تقدمة للرب» تعني الخدمة الإلهية المنبثقة عن هذا.

347. ويمكن لأي كان أن يرى أن «آخر الأيام» تعني مجرى الزمن. والتعاليم المسماة هنا «قاين»، لم تبدو في بدايتها عندما كانت لا تزال على بساطتها، لم تبد عصية جداً كما أضحت عليه حالها فيما بعد. ويبدو هذا واضحاً من تسميتهم لأبنائهم، «إنساناً من عند الكائن». وهكذا لم يكن الإيمان في صيغته المبكرة قد فصل بعد عن المحبة، كما صارت عليه حاله في «آخر الأيام»، أو إبان سير عملية الزمن؛ وهو ما يحصل عادة لأي تعاليم لإيمان حق.

348. ويعني قولهم: «ثمر الأرض»، شؤون الإيمان من غير رحمة. وهذا واضح بدوره مما يلي ذلك؛ لأن شؤون الإيمان الخالي من الرحمة ليست في واقع الأمر شؤون إيمان، إنها شؤون ميتة في ذاتها لأنها صادرة عن الإنسان الخارجي فقط. وقد جاء في نبوءة إرميا. عن مثل هذه الشؤون:

> **... لماذا ينجح طريق المنافقين، ويسعد جميع المعاملين بالغدر؟ أنت غرستهم فتأصلوا ونموا وأثمروا. أنت قريب من أفواههم، لكنك بعيد عن قلوبهم إلى متى. ستبقى الأرض تنوح، ويبس العشب في كل الحقول؟**
>
> **(إرميا. 12: 1، 2، 4)**

إن المقصود بقوله: «قريب من أفواههم، لكنك بعيد عن قلوبهم»، هم الذين لديهم إيمان مفصول عن الرحمة، وعنهم بالذات قيل: «الأرض تنوح». كما دعاهم إرميا. نفسه «ثمار أعمالهم»:

القلب أخدع كل شيء وأخبثه، **فمن يعرفه؟ أنا الرب، أفحص القلوب** وأمتحن **الأحشاء فأعطي الإنسان بحسب طرقه وثمر أعماله.**

(إرميا. 17: 9، 10)

ويقول ميخا:

وتكون الأرض موحشة بسبب سكّانها، وبسبب ثمرات أعمالهم.

(ميخا. 7: 13)

أما «الثمرة» التي لا تعد ثمرة، أي «العمل» الميت، والجذر الميت، فقد قال عنها عاموس:

وإني دمرت أمام وجوههم العموري الذي قامته مثل قامة الأرز، وصلابته كصلابة البلوط، لقد دمرت ثمرته من فوق وجذوره من تحت.

(عاموس. 2: 9)

ويقول داود:

أنت تهلك ثمرهم من الأرض وذريتهم من بين بني البشر.

(مزامير. 20: 11)

أما أعمال الرحمة فهي حية، وقد قيل عنها:

ويعود الناجون من بيت يهوذا، الذين بقوا يتأصلون إلى أسفل ويثمرون فوق.

(أشعياء. 37: 31)

ومعنى «يثمرون من فوق»، هو يتصرفون برحمة. وقد دُعي هذا الثمر عند أشعياء. هذا نفسه، «ثمر العظيمة»:

في ذلك اليوم يظهر نبت الرب بديعاً نقياً، وثمرة الأرض عظيمة ماجدة لمن نجا من إسرائيل.

(أشعياء. 4: 2)

وهي أيضاً «ثمرة الخلاص»:

أقطري أيتها السموات من فوق، ولتمطر الغيوم الحق، لتنفتح الأرض وليثمر الخلاص ولينبت البر. أنا الرب خلقته.

(أشعياء. 45: 8)

349 . إن «التقدمة» تعني الخدمة الإلهية، وهذا واضح من النماذج الأصل للكنيسة اليهودية، التي دعي فيها مختلف ضروب القرابين، بواكير الأرض من شتى ثمارها، وكذلك تقديم الأبكار، دعي «تقدمات»، ومنها كانت تتألف الخدمة الإلهية. وبما أنها كانت تمثل كلها أشياء سماوية وتنتمي إلى الرب، فقد كانت تعني الخدمة الإلهية الحقة، وهذا ما يستطيع كل إنسان أن يفهمه، لأنه ما قيمة النموذج من غير الأصل الذي يمثله؟ أو ما الذي يمثله الدين الخارجي من دون الدين الداخلي سوى كونه نوعاً من الأوثان أو الأشياء الميتة؟ فالخارجي يستمد حياته من الداخلي، أي من الرب عبر الداخلي. ويتضح من هذا أن تقدمات الكنيسة الأصل كلها تعني إقامة الخدمة الإلهية للرب. وحسب الأنبياء أيضاً أن «التقدمة» تعني إقامة الخدمة الإلهية:

فمن يحتمل يوم مجيئه؟... لأنه مثل النار التي تصهر والرماد الذي يطهّر، فيجلس صاهراً منقياً الفضة، مطهّراً بني لاوي وصاهراً إياهم كالذهب والفضة لكي يقدموا تقدمة الرب بالبر. وعندئذٍ تكون تقدمة يهوذا وأورشليم مرضية للرب كما في الأيام القديمة والسنين الخوالي.

(ملاخي 3: 2، 3، 4)

وتعني «التقدمة بالبر» هنا، التقدمة الداخلية التي يقدمها «بنو لاوي»، أي المستقيمون في الإيمان. أما «الأيام القديمة» فتعني الكنيسة الأولى، و«السنون الخوالي»، الكنيسة القديمة. يقول حزقيال:

لأنه على جبلي المقدس، على جبل إسرائيل العالي، يقول الرب الإله، هناك سوف يخدمني بيت إسرائيل كله، بقدر ما يوجد منه على الأرض؛ هناك أستقبلهم برضا، وهناك أطلب قرابينكم وباكوراتكم مع جميع مقدساتكم.

(حزقيال. 20: 40)

ومعنى «قرابينكم» و«باكوراتكم مع جميع مقدساتكم»، هو الأعمال التي تكرسها رحمة الرب. يقول صفنيا:

من بلدان أثيوبيا الواقعة وراء أنهارها، يأتيني الذين يعبدونني، أبنائي المشتتون، ليقدموا لي التقدمات.

(صفنيا. 3: 10)

و«أثيوبيا» تعني، الذين يملكون الأشياء السماوية التي هي جوهر المحبة، والرحمة، وأعمال الرحمة.

350. (الآية 4). وقدم هابيل أيضاً شيئاً من أبكار غنمه ومن سمانها، فنظر الكائن إلى هابيل وتقدمته.

لقد قلنا سابقاً: إن «هابيل» يعني الرحمة؛ و«أبكار غنمه»، هي المقدسات التابعة للرب وحده؛ و«دهنها»، هو السماوي الذي يتبع الرب كذلك؛ و«نظر الكائن إلى هابيل وتقدمته»، تعني أن الرحمة والخدمة الإلهية المنبثقة عنها كانتا مقبولتين من قبل الرب.

351. إن المقصود بالرحمة، هو محبة القريب والعطف عليه، لأن من يحب قريبه كما يحب نفسه، يتعاطف معه في المحن كما لو أنه يتعاطف مع نفسه.

352. وتعني «أبكار الغنم»، المقدس الذي يتبع الرب وحده. وهذا واضح من أن الباكورات أو الأبكار كانوا في الكنيسة الأصل مقدسين لأنهم كانوا للرب الذي هو وحده «البكر». وتعد المحبة والإيمان النابع منها، «بكرين». فالمحبة كلها تنبع من الرب، وليس من الإنسان أبداً، ولذلك فإن الرب وحده، هو «البكر». وقد تمثل هذا في الكنائس القديمة بتقدمة البكر من البشر والحيوان للكائن (خروج 13: 12، 15). كما تمثل هذا في سبط لاوي، الذي كان يعني المحبة، بالمغزى المكنون، على الرغم من أن لاوي ولد بعد رأوبيم وشمعون اللذين كانا يمثلان الإيمان، بالمغزى المكنون. لقد أقر سبط لاوي بديلاً عن البكور كلهم وصار سبطاً مقدساً (عدد 3: 40-45؛ 8: 14-20) ويتضح مما قيل عند داود أن الرب بجوهره البشري كان البكر بين الكل:

سوف يدعوني: أنت أبي، وإلهي وصخرة خلاصي. وأنا أجعله بكراً علياً فوق ملوك الأرض.

(مزامير 88: 27، 28)

وعند يوحنا:

ومن يسوع المسيح الشاهد الأمين وبكر الأموات ورب ملوك الأرض..

(رؤيا يوحنا 1: 5)

ولنتذكر أن الخدمة الإلهية الأولى (= البكر)، هي الرب، وأن الإيمان هو بكر الكنيسة.

353. إن «الدهن» يعني السماوي نفسه، الذي هو الرب أيضاً. وكل ما ينبع من المحبة، هو سماوي أيضاً. فالرحمة سماوية، وكل أعمال الرحمة أعمال سماوية كذلك. وقد تمثل هذا كله بمختلف ضروب الدهن في الذبائح، خاصة دهن الكبد والدهن الذي يغشى الكبد، والدهن الذي يغشى الأمعاء، وذاك الذي يتوضع على المصارين. لقد كانت ضروب الدهن هذه كلها مقدسة وتحرق على المذبح (خروج 29: 13، 22، لاويين 3: 3، 4، 14؛ 4: 8، 9، 19، 26، 31، 35؛ 8: 16، 25). ولذلك دعيت هذه الدهون «طعام النار الذي ترضي رائحته الكائن» (لاويين 3: 14، 16). ولهذا السبب عينه حرم على اليهود أن يأكلوا أي دهن حيواني، وقد دُعي هذا التحريم «فريضة الدهر على ممر أجيالكم» (لاويين. 3: 17؛ 7: 23، 25). وقد حرّم عليهم فعل ذلك لأن كنيستهم لم تعترف بأي شيء مكنون، فما بالك بالسماوي. ويظهر لدى الأنبياء أن «الدهن» يعني أشياء سماوية، وفعل الرحمة:

لماذا تزنون فضة لما ليس خبزاً، وتتعبون لما لا يُشبع؟ اسمعوني جيداً وكلوا الطيب ولتتلذذ بالدهن نفوسكم.

(أشعياء 55: 2)

ويقول إرميا:

وأروي نفوس الكهنة بالدهن، ويشبع شعبي من طيباتي، يقول الرب.

(إرميا 31: 14)

ومن الواضح هنا أن المقصود بالدهن، هو الخير السماوي - الروحي وليس الدهن نفسه. يقول داود:

يرتوون من دهن بيتك، ومن نهر لذاتك تسقيهم، لأن عندك ينبوع الحياة، وبنورك نرى النور.

(مزامير 35: 9، 10)

ويعني «الدهن» و«ينبوع الحياة» هنا، السماوي الذي ينتمي إلى المحبة؛ و«نهر اللذات» و«النور» يعنيان الروحي الذي ينتمي إلى الإيمان النابع من المحبة. يقول داود:

كما تشبع نفسي من دهن وزيت، وبشفاه الترنيم يسبحك فمي.

(مزامير 62: 6)

وهنا أيضاً يعني «الدهن» ما هو سماوي، و«شفاه الترنيم» ما هو روحي. ومن الواضح أن الحديث يجري عن السماوي، لأنه قيل، تشبع نفسي. وللسبب عينه دعيت الثمار الأولى التي كانت بكر الأرض، «دهناً» (عدد 18: 12).

2. وبما أن ضروب الأشياء السماوية لا عد لها، كما أنه لا عدّ لأنواعها أيضاً، لذلك وصفت على وجه العموم في كلمات النشيد الذي أنشده موسى أمام الشعب:

وزبدة البقر ولبن الغنم، ودهن الخراف وكباش بني باشان، والتيوس، والحنطة السمينة، وأنت شربت النبيذ، دم ثمر العنب.

(تثنية 32: 14)

ولن يكون بمقدور أحد أن يعرف معنى هذه العبارات إلا بمغزاها المكنون. فمن غير المغزى المكنون تصبح تعابير مثل: «زبدة البقر»، و«لبن الغنم»، و«دهن الخراف»، و«دهن الكباش والتيوس»، و«بنوباشان»، و«الحنطة السمينة»، و«دم العنب»، مجرد كلمات لا أكثر، مع أنها كلها تعني أنواعاً وأصنافاً لأشياء سماوية.

354. لقد «نظر الكائن إلى هابيل وتقدمته». إن معنى هذه الكلمات، هو أن الرحمة وكل خدمة إلهية نابعة منها، هي فعل يرضي الرب.

355. (الآية 5). ولم ينظر إلى قاين وتقدمته. فاشتعل قاين غيظاً وسقط وجهه.

لقد قلنا سابقاً: إن «قاين» يعني الإيمان المفصول عن المحبة، أو أنه يعني التعاليم التي تجيز حصول مثل هذا الفصل. وتقدمته التي لم ينظر الكائن إليها، تعني أن الخدمة الإلهية التي أقامها لم تكن مقبولة. «فاشتعل قاين غيظاً، وسقط وجهه»، أي تبدل داخله، لأن «الغيظ» يدل على أن الرحمة قد نفرت وابتعدت؛ و«الوجه» يعني المبدأ الداخلي الذي قيل: إنه «سقط» عندما وقع التغيير.

356. وكما بيّنا سابقاً فإن «قاين» يعني الإيمان المفصول عن المحبة، أو أنه التعاليم التي تجيز حصول مثل هذا الفصل، وأن «تقدمته التي لم ينظر الكائن إليها تعني أن خدمته الإلهية لم تقبل.

357. «فاشتعل قاين غيظاً»، أي أن الرحمة فارقت. وهذا ما يتبين كذلك مما ورد بعد ذلك إذ قتل قاين أخاه هابيل الذي كان يمثل الرحمة. والغيظ هو الشعور الرئيس الذي يظهر نتيجة اعتراض عائق ما طريق حب الذات وأهوائها. وهذا ما يبرز الإحساس به بوضوح في عالم الأرواح الشريرة، لأن غيظاً عاماً يسود هناك ضد الرب، لأن الأرواح الشريرة لا تحركها الرحمة، بل الكره. وكل ما لا يمهد سبيل حب الذات وحب العالم يثير مقاومتها التي تتجلى في الغيظ. وفي الكتاب المقدس غالباً ما تنسب إلى الكائن كلمات مثل: «الغيظ»، «الغضب»، «السخط»، بيد أن هذه الكلمات تصدر عن الإنسان وتنسب إلى الكائن، لأنه يظن أنها تصدر عنه، وكنا قد تحدث عن سبب ذلك سابقاً. يقول داود:

أرسل عليهم وغير غضبه، وسخطه، وحنقه، وبليته؛ سفارة من ملائكة الشر؛ واعدّ طريق غضبه، ولم يحفظ نفوسهم من الموت...

(مزامير 77: 49، 50)

وليس الكائن هو من يرسل غضبه على أحد ما من البشر، بل البشر هم الذين يستولي عليهم الغضب؛ وليس هو من يرسل ملائكة الشر، بل الإنسان هو الذي يجذبهم إليه. ولذلك أضيف، أنه «أعد طريق غضبه، ولم يحفظ نفوسهم من الموت»؛ وقد قال أشعياء. إنه «إلى الكائن يأتي ويخزى كل الذين كنوا له العداوة»

(أشعياء. 45: 24)، وهذا يعني أن «الغيظ» يعني الشر، أو الانفصال عن الرحمة، والمغزى واحد.

358. ويعني «الوجه الساقط»، تبدل الداخل، وهو ما يفسره معنى «الوجه» و«سقوطه». لقد رأى القدماء في الوجه انعكاساً للداخل، لأن داخل الفرد يظهر عبر وجهه؛ وفي الزمن القديم كان وجه الناس يتوافق تماماً مع معطيات داخلهم، بحيث كان يمكن عبر الوجه رؤية ميل الشخص أو تفكيره. أما الوجه الذي كان يظهر شيئاً مغايراً للطوية فقد عد وجهاً مريعاً. فالتصنع والخداع عدا زمنئذٍ سلوكاً مرذولاً، ولذلك عد الوجه صورة طبق الأصل عن الداخل. وعندما كانت الرحمة تضيء الوجه، كانوا يقولون أن الوجه «علا، ارتفع»، أما عندما كان يحصل العكس، فكانوا يقولون ، إن الوجه «سقط». ولذلك قالوا عن الرب أيضاً، إنه «يرفع وجهه نحو الإنسان»، دلالة على مباركته «عدد 6: 26؛ مزامير. 4: 7). أما معنى «إسقاط الوجه» فيفسره لنا ما ورد عند إرميا:

... لن اسقط وجهي عنكم، لأني رحيم، يقول الكائن.

(إرميا. 3: 12)

إن «وجه الكائن» هو الرحمة، وعندما «يرفع وجهه» نحو أحد ما، فهذا يعني أنه يمن عليه بالرحمة. ويحدث العكس عندما «يسقط وجهه» عن الإنسان.

359. (الآية 6). فقال الكائن لقاين: لماذا اشتعلت غيظاً؟ ولماذا سقط وجهك؟

«وقال الكائن لقاين»، معناها أن الضمير قد تكلم؛ وإنه «اشتعل غيظاً، وسقط وجهه» تعني أن الرحمة قد نفرت وابتعدت، وأن الطوية قد تغيرت.

360. ولا نرى ضرورة لكي نبين أن الكلمات: «قال الكائن لقاين»، معناها أن الضمير قد تكلم، لأننا كنا شرحنا هذه الكلمات سابقاً.

361. (الآية 7). لو كنت قد أحسنت أما كنت سترفع وجهك؟ وإن لم تحسن فعند الباب خطيئة رابضة؛ وهي تجذبك إليها، ولكن سد أنت عليها.

«لو كنت قد أحسنت أما كنت سترفع وجهك»؟، تعني لو كنت ترغب في عمل الخير لمكثت معك الرحمة. «وإن لم تحسن فعند الباب خطيئة رابضة»، تعني أنك إذا كنت لا ترغب في العمل الصالح فإنه ليست ثمة رحمة، بل هناك شر. «وهي تجذبك إليها، ولكن سد أنت عليها»، والمقصود هنا، هو أن الرحمة تريد أن تكون معك، لكنها لا تستطيع، لأنك تريد أن تسيطر عليها.

362. لقد وصفت هنا تعاليم الإيمان التي تدعى «قاين»، وهي التعاليم التي فصلت الإيمان عن المحبة وأبعدته عن الرحمة التي تعد ثمرة المحبة. ومن المعروف أنه أينما وجدت الكنيسة ظهرت الهرطقات، لأن الناس إذ يستندون إلى واحدة ما من عقائد الإيمان، يرفعونها إلى سدة الرئاسة. لأن طبيعة تفكير الإنسان إذ تحشد اهتمامها عند مادة ما بعينها، فإنها تجعلها أكثر أهمية من أي مادة أخرى، خاصة عندما تعدها فتحاً خاصاً بها وتملؤها بحب الذات وحب العالم. عندئذٍ يرى الفرد إن كل شيء يوافق رؤياه ويؤكد صحته، وسوف تصل به الحال إلى حد يكون عنده مستعداً لأن يقسم بأن هذا هو واقع الأشياء، حتى لو كان اعتقاده باطلاً. وعلى هذا النحو جعل المدعوون «قاين» الإيمان أكثر أهمية من المحبة، وبما أنهم كانوا يفكرون هكذا، فقد عاشوا من غير محبة، وهكذا اتحدت محبة الذات والضلال المتأتي عنها لكي يثبتاهم في هذا.

363. إن هذه الآية تبيّن ماهية التعاليم المسماة «قاين»، فهي تبيّن أنه كان يمكن للرحمة أن تتحد مع الإيمان ولكن بطريقة تكون السيادة فيها للرحمة لا للإيمان. لذلك قيل أولاً: «لو كنت قد أحسنت أما كنت سترفع وجهك»؟ وهذا معناه، لو أنك كنت تريد فعل الخير، فإن الرحمة موجودة؛ لأن «فعل الخير» بمغزاه المكنون يعني الرغبة بالعمل الصالح، لأن الأعمال الصالحة تنبع من الرغبات الصالحة. وفي الأزمنة القديمة كان الفعل والإرادة يشكلان كلاً واحداً؛ لقد كان الناس يحددون إرادتهم بأفعالهم، لأنه لم يكن للنفاق وجود زمنئذٍ. وتعني كلمة «يرفع»، أن الرحمة موجودة، وهو ما يتضح مما قيل عن الوجه، فمعنى «يرفع وجهه»، هو أنه يملك رحمة، ومعنى «يسقط وجهه»، هو العكس.

364. وقيل ثانياً: «وإن لم تحسن فعند الباب خطيئة رابضة»، وهذا معناه أنك إذا كنت لا ترغب في عمل الخير، فإنه ليس ثمة رحمة، بل هناك شر. ويستطيع كل منا أن يرى أن «الخطيئة الرابضة عند الباب» تعني الشر المتحفز والمتعطش إلى الدخول؛ لأنه عندما لا تكون هناك رحمة، فإن هناك كرهاً، وغياباً تاماً للتعاطف، ومن هذا ينبع كل شر. لقد حملت الخطيئة على وجه العموم اسم «الشيطان»، وهو ومعه حاشية جهنم على أهبة الاستعداد دوماً، إذا ما خلا الإنسان من الرحمة؛ والوسيلة الوحيدة التي يطرد بها الشيطان وحاشيته من على باب العقل، هي محبة الرب ومحبة القريب.

365. وقيل ثالثاً: «وهي تجذبك إليها، ولكن سد أنت عليها»، ومعنى هذا، هو أن الرحمة تريد أن تكون إلى جانب الإيمان، لكنها لا تستطيع، لأن الإيمان يريد أن يسود عليها، وهذا مخالف لطبيعة الأشياء. فما دام الإيمان يسعى إلى السيطرة، فإنه ليس إيماناً، وهو لن يصبح كذلك إلا إذا سيطرت الرحمة، لأن الرحمة هي البند الرئيس للإيمان. ونحن يمكننا أن نشبّه الرحمة بالنار التي تمثل جوهر الدفء والنور، لأنهما يصدران عنها؛ والإيمان وحده يشبه النور الذي إذا خلا من دفء الناس يبقى نوراً، لكنه نور زمني يذبل فيه كل شيء ويهلك.

366. (الآية 8). وتحدث قاين مع هابيل أخيه. وعندما أصبحا في الحقل وثب قاين على هابيل أخيه فقتله.

«وتحدث قاين مع هابيل»، إنه مقطع من الزمن. وقاين كما قلنا سابقاً، هو الإيمان المفصول عن المحبة؛ بينما «هابيل»، هو الرحمة التي هي أخت الإيمان، ولهذا دعي هنا «أخاً» مرتين. و«الحقل» هو ما تتألف منه التعاليم. و«وثب قاين على أخيه هابيل فقتله»، تعني أن الإيمان وحده دمر الرحمة.

367 . ونحن نرى ضرورة هنا لسوق مقاطع من الكتاب المقدس لكي نبيّن أن الرحمة «أخت» الإيمان، وأن «العقل» هو ما يؤلف التعاليم. فكل منا يستطيع أن يستدل بطبيعة الإيمان أو جوهره، أن هذا الأخير هو «شقيق» الرحمة فعلاً. وقد تمثلت علاقات الأخوة بينهما بعيسو ويعقوب، وكانت هي عينها أساس النزاع بينهما

على حقوق الابن البكر وما يترتب عن هذه الحقوق من سيطرة وسيادة. كما تمثلت هذه العلاقات أيضاً في فارص وأخيه التوأم زارح، ولدي ثامار من يهوذا (تكوين 38: 28، 29، 30)، وفي أفرائيم ومناسي (تكوين 48: 13، 14)؛ وفي هذه الأمثلة وغيرها من الحالات المشابهة، نشأ نزاع على حق البكورية وما يترتب عنه من حق السيادة والسيطرة. والرحمة وكذلك الإيمان هما ولدا الكنيسة. لقد دُعي الإيمان «إنساناً» كما قاين (في الآية الأولى من هذا الإصحاح)، ودعيت الرحمة «أخاً» (كما عند أشعياء. 19: 2؛ وإرميا. 13: 14). وقد دُعي اتحاد الإيمان والرحمة «اتحاداً أخوياً» (عاموس 1: 9). ونحن قلنا سابقاً، أن يعقوب وعيسو كانا صورة عن قاين وهابيل؛ فيعقوب مثله مثل قاين أراد أن يستولي على مكانة أخيه، وهذا ما يوضحه قول هوشع:

وللرب خصومة مع يهوذا، ويفتقد يعقوب حسب طرقه، فعلى مقتضى أعماله يرد عليه. إنه تعقب في البطن أخاه...

(هوشع. 12: 2، 3)

ولكن نبوءة والدهما إسحق تبيّن أن عيسو، أو الرحمة المتمثلة في عيسو سوف تحقق الغلبة في آخر المطاف:

بسيفك تعيش وأخاك تخدم ويكون أنك إذا قويت تكسر نير عن عنقك.

(تكوين. 27: 40)

أو، والأمر هنا سيان، أن كنيسة الوثنيين، أو الكنيسة الجديدة قد تمثلت في عيسو، بينما تمثلت الكنيسة اليهودية في يعقوب؛ ولذلك يتردد كثيراً قولهم: إنه ينبغي على اليهود أن يعترفوا بالوثنيين أخوة لهم؛ وقد دعاهم الرب بالأخوة الذين يسمعون كلمة الرب ويعملون بها (لوقا 8: 21)؛ والذين يطيعون كلمة الرب هم الذين يمتلكون الرحمة. ولكن الذين يطيعون، أي الذين يقولون إنهم يؤمنون، ولا يعملون بحسب الإيمان، أي لا يملكون الرحمة، لا يعدّون أخوة، لأن الرب يشبههم بالجهلة (متّى. 7: 24، 26).

368. ويتضح مما جاء عند إرميا. أن «الحقل» يعني التعاليم؛ بالتالي كل ما يشكل الإيمان والرحمة:

يا جبلي في الحقل، إني أجعل غناك وجميع كنوزك للنهب، وكل مرتفعاتك بسبب خطيئتك في جميع تخومك.

(إرميا. 17: 3)

إن الحقل يعني في هذا المقطع، التعاليم و«الغنى» و«الكنوز» تعني ثروة الإيمان الروحية، أي المواد التي يتألف منها الإيمان. يقول هذا النبي نفسه:

هل يخلو صخر الجبل من ثلج لبنان؟

(إرميا. 18: 14)

وقد قيل عن صهيون، إنها «ستحزن كحقل» عندما تخلو من تعاليم الإيمان (إرميا. 26: 18؛ ميخا 3: 12). ويقول حزقيال:

وأخذ من بزر هذه الأرض وزرع في حقل الزرع.

(حزقيال. 17: 5)

هكذا قيل عن الكنيسة وإيمانها؛ ودعيت التعاليم «حقلاً» لأن البزر فيه. ويقول النبي نفسه:

فتعلم جميع أشجار الحقول أني أنا الرب أجعل الشجر العالي صغيراً، والصغير عالياً.

(حزقيال. 17: 24)

ويقول يوئيل:

لقد خرب الحقل، والأرض تنتحب؛ لأن القمح اضمحل، وجف عصير العنب، وذبل الزيت. فالتحمرّ وجوهكم من الخجل أيها الحراثون. لأن الموسم هلك في الحقل ويبست فيه كل الأشجار.

(يوئيل. 10، 11، 12)

إن «الحقل» يعني هنا التعاليم، و«الأشجار» تعني المعرفة، و«الحراثون» هم المؤمنون. ويقول داود:

فليبتهج الحقل وكل ما فيه، وليترنم جميع شجر غابة البلوط.

(مزامير. 95: 2)

ومن الواضح تماماً هنا أن الحقل لا يمكن أن يبتهج، كما لا يمكن للشجر والغابات أن تترنم، فهذا كله في الإنسان، وهو على وجه التحديد معرفة الإيمان. يقول إرميا:

هل سيطول نواح الأرض، ويباس عشب الحقول؟

(إرميا. 12: 4)

وغني عن البيان هنا أيضاً، أن الأرض وكذلك عشب الحقول؛ لا يمكنهما أن ينوحا، ولذلك فالكلام يجري هنا عن الخراب الذي يحصل في الإنسان. ونقف على مثل هذا عند أشعياء:

فإنكم **بفرح تخرجون وبسلام، وتندفع الجبال والتلال بالترنيم أمامكم، وجميع أشجار الحقل تصفق بالأيدي.**

(أشعياء. 55: 12)

كما دعا الرب في نبوءته عن نهاية الدهر، دعا تعاليم الإيمان «حقلاً»:

حينئذٍ يكون اثنان في حقل، فيؤخذ واحد ويترك الآخر.

(متّى. 24: 40؛ لوقا 17: 36)

«فالحقل» هنا يعني تعاليم الإيمان، التعاليم الحقة كما الباطلة. وبما أن «الحقل» يعني التعاليم، فإن من يتلقى بذرة الإيمان، أكان كنيسة أم إنساناً أم العالم كله، يدعى «حقلاً».

369. ونستنتج من هذا أن الكلمات: «وعندما أصبحا في الحقل وثب قاين على هابيل أخيه فقتله»، تعني أنه على الرغم من أن الإيمان والرحمة خرجا من تعاليم الإيمان، إلا أن الإيمان المنفصل عن المحبة يقف من الرحمة موقفاً ملؤه الاحتقار ولذلك أطفأها؛ ومثل هذا ما يفعلونه في أيامنا هذه أولئك الذين يعلنون أن الإيمان وحده يحقق الخلاص بعيداً عن أي رحمة كانت، مع أنهم يعرفون ويعظون بأن الإيمان من غير محبة لا يحقق الخلاص.

370. (الآية 9). فقال الكائن لقاين: أين هابيل أخوك؟ قال: لا أعلم، وهل أنا حارس لأخي؟

«وقال الكائن لقاين»، تعني بعضاً من الإدراك الحسي النابع من الداخل والدال على الرحمة أو على الأخ هابيل. أما إجابة قاين: «لا أعلم، وهل أنا حارس لأخي»، فمعناها أن الإيمان كان ينظر إلى الرحمة بازدراء ولم يشأ أن يخدمها. وبذا يكون الإيمان قد رفض رفضاً قاطعاً كل ما يصدر عن الرحمة. هكذا أضحت تعاليمهم.

371. لقد كان القدماء يعنون بقولهم: «قال الكائن»، أن الرب قد منح القدرة على الإدراك الحسّي. وكان يمكن لهذا الإدراك الحسي أن يبقى ما دامت المحبة هي سيدة الموقف. أما عندنا تضعف المحبة للرب، بالتالي للقريب، فإن الإدراك الحسي يهلك؛ وبهذا المعيار فقط فإنه بقدر ما تبقى المحبة يبقى الإدراك الحسي. وكانت الكنيسة الأولى تتسم بهذه القدرة على الإدراك الحسي، ولكن عندما كان الإيمان ينفصل عن المحبة، كما حدث مع الذين عاشوا بعد الطوفان، وكانت الرحمة تمنح عبر الإيمان، عندئذٍ حل الضمير محل الإدراك الحسي، والضمير بدوره يرشد، ولكن بوسيلة أخرى، وهذا ما سوف نتحدث عنه لاحقاً بنعمة الرب ورحمته.

وعندما يكون الضمير هو المرشد، فإن الكتاب المقدس يستعمل التعبير: «قال الكائن)؛ لأن الضمير يتشكل من الإيحاءات والمعارف النابعة من كلمة الكتاب المقدس. فعندما يكون الكتاب المقدس هو المرشد، فإن الرب هو الذي يقول. ولذلك فإنه من المعتاد جداً حتى في أيامنا هذه أن يقال: «يقول الرب»، عندما يتعلق الحديث بمسألة الضمير أو الإيمان.

372. والذي يعمل «حارساً»، هو الذي يخدم، كما كان يفعل «الحراس» و«الحجاب» في الكنيسة اليهودية. لقد دُعي الإيمان «حارس» الرحمة، لأنه ينبغي عليه أن يخدمها. ولكن، حسب مبادئ التعاليم التي دعيت «قاين»، فإن الإيمان هو الذي يجب أن يسود، كما ورد في الآية 7.

373. **(الآية 10). فقال: ماذا فعلت؟ إن صوت دم أخيك صارخ إليّ من الأرض.**

ومعنى «صوت دم أخيك»، هو أن الرحمة قد تعرضت للعنف؛ و«الدم الصارخ» يعني الإثم، و«الأرض»، تعني الانقسام أو الهرطقة.

374. وثمة نصوص كثيرة في الكتاب المقدس تؤكد أن «صوت دم أخيك» تعني أن عنفاً قد مورس ضد الرحمة؛ «فالصوت» في مثل تلك النصوص يعني الاتهام، و«الدم» يعني كل إثم، خاصة الكره؛ لأن الذي يكره أخيه يقتله في قلبه. يقول الرب:

قد سمعتم أنه قيل للأولين: لا تقتل، فإن من يقتل يستوجب الدينونة. أما أنا فأقول لكم، إن كل من غضب على أخيه يستوجب الدينونة، ومن قال لأخيه: راقا يستوجب حكم المحفل. ومن قال: يا أحمق يستوجب نار جهنم.

(متّى. 5: 21، 22)

إن كلمات يسوع المسيح هذه تحدد درجات الكره. والكره نقيض الرحمة، وهو يقتلها بشتى الوسائل، وإذا لم يقتلها بالجسد، فبالروح، ولا يردعه عن قتلها بالجسد سوى القيود الخارجية. ولذلك دعي كل كره «دماً». يقول إرميا:

كم أنت ماهرة في توجيه طرقك طلباً للمحبة! حتى في أذيالك دم المساكين الأبرياء.

(إرميا. 2: 33، 34)

2. وبما أن «الدم» يعني الكره، فإنه يعني في الوقت نفسه كل شر، لأن الكره مصدر كل شر. يقول هوشع:

بل الحلفان والكذب، والقتل والسرقة، والفسق قد فاضت، والدماء تلحق بالدماء. لذلك تنوح هذه الأرض ويذبل كل ساكن فيها.

(هوشع. 4: 2، 3)

ويقول حزقيال:

أتريد أن تدين، تدين مدينة الدماء؟ أعلمها بجميع أرجاسها. أيتها المدينة التي تسفك الدم في وسطها. لقد أثمت بالدم الذي سفكته.

(حزقيال. 2، 4)

ويقول حزقيال. أيضاً:

... فإن هذه الأرض قد امتلأت من أحكام الدم، وامتلأت المدينة جوراً.

(حزقيال. 7: 23)

ويقول إرميا:

لأجل خطايا أنبيائها وتعسف كهنتها الذين سفكوا في وسطها دم الصديقين؛ تاهوا كالعميان في الشوارع. تلطخوا بالدم...

(مراثي إرميا. 4: 13، 14)

ويقول أشعياء:

إذ يغسل الرب دنس بنات صهيون، ودم أورشليم من وسطها، بروح العدل وروح النار.

(أشعياء. 4: 4)

ويقول أيضاً:

إذ قد تلطخت أكفكم بالدم، وأصابعكم بالتعسف.

(أشعياء. 59: 3)

كما يقول حزقيال. في سياق حديثه عن أرجاس أورشليم التي سماها «دماء»:

فمررت بك ورأيتك متلطخة بدمك، فقلت لك: عيشي في دمك! هكذا قلت لك: عيشي في دمك!

(حزقيال. 16: 6، 22).

3. وصفت قسوة الأزمنة الأخيرة والكره الذي عرفته، وصفا «بالدم» أيضاً. ففي رؤيا يوحنا. (16: 3، 49، تستخدم كلمة «دم» بصيغة الجمع، لأن الآثام والأرجاس كلها تنشأ عن الكره، تماماً مثلما ينبع كل خير وعمل صالح من المحبة. ولذلك فإن من يكره قريبه يتمنى لو يقتله لو استطاع، وهو في واقع الأمر

يقتله حينما تسنح له الفرصة، وبذا يكون قد مارس ضده العنف الذي أشير إليه هنا بقوله: «صوت دم»....

375. وعادة ما يستخدم تعبير «الصوت الصارخ»، وتعبير «صوت الأنين» في الكتاب المقدس، في حال سماع صوت صخب ما سواء كان فرحاً أم حزناً (خروج 32: 17، 18؛ صفنيا 1: 9، 10؛ أشعياء. 65: 19؛ إرميا. 48: 39. وفي أحد المقاطع جاء الصوت تعبيراً عن الاتهام.

376. ويستنتج من هذا أن «الصوت الصارخ»، يعني الإثم، لأن كل من يستخدم العنف مذنب. يقول داود:

يقتل الشر الإثم، ومبغضو الصديق يهلكون.

(مزامير. 33: 22)

ويقول حزقيال:

لقد أثمت بالدم الذي سفكته...

(حزقيال. 22: 4).

377. وكون «الأرض» تعني هنا الفرقة أو الهرطقة، أمر واضح من كون «الحقل» يعني التعاليم، ولذلك فإن «الأرض» التي يقع فيها الحقل، هي فرقة. والإنسان نفسه يعد «أرضاً»، و«حقلاً» لأنه يزرع فيه، ولأن الإنسان يعد إنساناً بسبب ما زرع فيه. والإنسان الصدّيق الصالح يعد كذلك لأنه طيب وخير وحق؛ أما الشرير المنافق، فهو كذلك بسبب الشر والنفاق. ومن يعتنق تعاليم ما، يدعى حسب هذه التعاليم، والأمر نفسه ينسحب على من ينتمي إلى فرقة أو هرطقة. وهكذا فإن «الأرض» تعني في هذا المقطع، فرقة أو هرطقة في الإنسان.

378. (الآية 11). والآن، ملعون أنت من الأرض التي فتحت فاها لتقبل دم أخيك من يدك.

«والآن، ملعون أنت من الأرض» تعني أنه انحرف بسبب الهرطقة؛ «التي فتحت فاها» تعني، هكذا كانت التعاليم؛ «لتقبل دم أخيك من يدك»، تعني أن عنفاً قد مورس ضد الرحمة، وأنها أطفئت.

379. ويتضح مما قيل من قبل أن هذا هو معنى كلمات هذه الآية، كما تتضح صحة هذا المعنى من كون كلمة «ملعون» تعني الابتعاد عن العمل الصالح. فالتعسف والرجس النابعان من الكره هما اللذان يدفعان الإنسان بعيداً عن الخير لكي لا ينظر إلى تحت، إلى ما هو جسدي وزمني، أي إلى ما يصدر عن جهنم. إن هذا هو الذي يحصل عندما تطرد الرحمة وتطفأ، لأنه عندئذٍ تقطع الرابطة التي تربط بين الرب والإنسان، لأن الرحمة وحدها أو المحبة والتعاطف، هي التي توحدنا معه. والإيمان من غير رحمة عاجز عن فعل هذا عجزاً تاماً، لأن هذا لا يعود حينئذٍ إيماناً، إنما مجرد معرفة وحسب، وهذه يمكن أن تملكها حتى حاشية جهنم التي يمكن أن تكون ماهرة في إغواء الصالحين وتقديم نفسها على أنها ملائكة النور. فعلى هذا النحو يتصرف أحياناً أكثر الدعاة لا أخلاقية، فهؤلاء يلقون عظاتهم بغيرة وحمية تظهر كأنها تعكس نقاءهم الداخلي، مع أن أي شيء لا يمكن أن يكون بعيداً عن قلوبهم قدر بعد ما ينطقون به عنها. وهل يمكن لأيّ عاقل أن يقتنع بأن الإيمان وحده أو الفكرة المنبثقة منه يمكن أن تحقق شيئاً ما؟ فمن المعروف لكل منا بتجربته الشخصية، إن أحداً لا يمكنه أن يحترم كلام الآخر أو مواقفه إلا إذا كانت تعكس حقيقة نواياه أو إرادته. فبالنوايا والإرادة على وجه التحديد تكتسب ثقة الآخر وتتكون العلاقات بين الناس. إن الإرادة هي الإنسان الحقيقي، وليست كلماته أو أفكاره التي تعكس ما لا يرغب به. فالإنسان يكتسب طبيعته وموضعه بإرادته، لأن الإرادة هي التي تحركه. فإذا كانت أفكاره صالحة فإن جوهر الإيمان، أي الرحمة، تكون في تفكيره، لأن فيها تكمن إرادة الخير. لكنه إذا قال إنه يفكر تفكيراً صالحاً، بينما هو يعيش حياة الحمقى، فإنه لا يستطيع أن يتمنى سوى الشر، ولذلك لا يتوفر على أي إيمان.

380. (الآية 12). وإذا حرثت الأرض فلن تعطيك قوّتها أيضاً. تائهاً شارداً تكون في الأرض.

«تحرث الأرض» معناها تنمي إلى هذه الهرطقة؛ «لن تعطيها قوتها»، أي تكون مجدبة قاحلة. «تائهاً شارداً في الأرض»، أي لا تعرف أنه ثمة خير وحقيقة.

381. ويوضح لنا معنى كلمة «أرض» الذي عرضنا إليه قبل قليل، أن جملة «تحرث الأرض» معناها تنمي إلى هذه الهرطقة؛ ومعنى «لا تعطيك قوّتها»، هو أنها تكون قاحلة لا تعطي شيئاً، وهذا واضح من الكلمات نفسها ومما قيل عن الأرض، كما أنه واضح أيضاً من كون الذين يعتنقون إيماناً من دون رحمة كمن لا يعتنق أي إيمان قط.

382. «تائهاً شارداً تكون في الأرض» معناها ألا تعرف انه ثمة خير وحقيقة، وهذا واضح من معنى كلمتي «ضل» و«شرد» في الكتاب المقدس. يقول إرميا:

الأنبياء والكهنة تاهو كعميان في الشوارع. تلطخوا بالدم حتى لم يطق أحد أن يلمس ملابسهم.

(مراثي إرميا. 4: 13، 14)

و«الأنبياء» هنا هم أولئك الذين يعلّمون، أما «الكهنة فهم أولئك الذين يعيشون بما يتوافق وما يعلّمون به؛ ومعنى «تاهوا كالعميان في الشوارع»، هو أنهم لا يعلمون أنه ثمة خير وحقيقة. يقول عاموس:

2. ... لقد روى المطر جزءاً من الحقل، ولم يبلل جزأه الآخر فجف. فشردت مدينتان – ثلاث مدن في مدينة واحدة ليشربوا ماء، فلم يرتووا.

(عاموس. 4: 7، 8).

إن جزء الحقل المروي يعني هنا تعاليم الإيمان النابعة من الرحمة، أما جزؤه الذي لم يهطل فيه المطر، فهو تعاليم الإيمان من دون الرحمة. والشرود لشرب الماء يعني بدوره البحث عن الحقيقة. يقول هوشع:

3. لقد ضُرب أفرايم وجف جذرهم فلا يأكلون بثمر، يرذ لهم إلهي لأنهم لم يسمعوا له فيكونون تائهين بين القبائل.

(هوشع. 9: 16، 17).

إن «افرايم» هنا هو إدراك الحقيقة، أو الإيمان، لأنه كان بكر يوسف؛ و«الجذر الذي جف» يعني الرحمة التي لا تستطيع أن تثمر؛ و«التائهون بين القبائل»، هم أولئك الذين لا يعرفون أنه ثمة خير وحقيقة. يقول إرميا:

4. انهضوا وهاجموا بلاد العرب ودمروا أبناء المشرق! اهربوا سريعاً واشردوا، اختبئوا في الأعماق يا سكان حاصور...

(إرميا. 49: 28، 30)

و«بلاد العرب» و«أبناء المشرق» هم هنا مالكو الخيرات السماوية، أو ما ينبع من المحبة، وقد دعيوا بعد أن دمروا ونهبوا: «هاربين» و«شاردين»، أي لا يفعلون شيئاً صالحاً. وقيل عن «سكان حاصور» أي عن أولئك الذين يملكون قيماً روحية نابعة من الإيمان، إنهم «اختبؤوا في الأعماق»، أي هلكوا. يقول أشعياء:

5. جميع حكامك ضلوا معاً، لكنهم قيدوا بالسهام؛ وكل من وجد معك كبلوا معاً مهما هربوا بعيداً.

(أشعياء. 22: 3)

ثم يجري الحديث بعد ذلك عن «وادي الرؤيا»، أو عن وهم إمكانية الإيمان من غير رحمة. ولذلك قيل بعد ذلك (أشعياء. **22**: **14**) إن معتنق الإيمان من غير رحمة «يضل ويهرب»، أي أنه لا يعرف شيئاً عن الخير والحقيقة.

383. (الآية 13). فقال قاين للكائن: إثمي أعظم من أن يغفر.

و«قال قاين للكائن» معناها اعترافه بأنه مقيم في الشر الذي أثاره بعض الألم الداخلي؛ و«إثمي أعظم من أن يغفر» تعني اليأس من توفر مثل هذه الإمكانية.

384. ويدل هذا على أنه كان قد بقي في قاين شيء من الخير؛ لكن خير الرحمة هلك كله بعد ذلك، وهذا واضح مما قيل عن لامك (في الآيات 19، 23، 24).

385. (الآية 14). إنك قد طردتني اليوم عن وجه الأرض، ومن وجهك أختبئ، وسوف أكون طريداً تائهاً على الأرض، وليقتلني كل من يجدني.

و«الطرد عن وجه الأرض» يعني الحرمان من كل حقيقة من حقائق الكنيسة؛ و«من وجهك أختبئ» تعني الابتعاد عن كل عمل من أعمال الإيمان

الصالحة النابعة من المحبة؛ و«طريداً وتائهاً على الأرض» معناها عدم معرفة أن هناك حقيقة وخير؛ ومعنى «وليقتلني كل من يجدني»، هو أن الشر والباطل سيهلكانه.

386. أن يكون المرء «طريداً على وجه الأرض» يعني أن يكون محروماً من حقائق الكنيسة كلها. وهذا واضح من معنى كلمة «أرض» التي هي بمغزاها الحقيقي تعني الكنيسة أو عضواً في الكنيسة، ولذلك فإن المقصود هو ما تؤمن به الكنيسة كله. ولكن، كما أن المادة تتحدد بالمعنى الدقيق لكل ما ينتمي إليها، كذلك من يعتنق إيماناً باطلاً، أي هرطقة ما، يدعى بدوره «أرضاً». بيد أن معنى أن يكون المرء «طريداً على وجه الأرض» هنا، هو أن يكون خارج حقيقة الكنيسة.

387. أما معنى «ومن وجهك أختبئ» فهو الانفصال عن كل خير من خيرات الإيمان النابع من المحبة، وهو ما يتضح من معنى «وجه الكائن». وكما قلنا سابقاً، فإن «وجه الكائن»، هو الرحمة التي ينبع منها كل خير من خيرات الإيمان النابع من المحبة، ولذلك أشير إلى خير الإيمان هنا بكلمة «وجه».

388. ومعنى «طريداً وتائهاً على الأرض»، هو عدم معرفة أن هناك حقيقة وخير.

389. و«كل من يجده يقتله» تعني أن الشر والباطل سوف يهلكانه، وهذا ما يفهم مما ورد أعلاه. لأن ما يحدث هو الآتي: عندما يحرم الإنسان من الرحمة، فإنه يبتعد عن الرب، لأن الرحمة وحدها، أي محبة القريب، والإحسان يوحدان الإنسان مع الرب. ومن غير الرحمة يحصل الانفصال، وفي حال وقوع الانفصال يتوجه الإنسان نحو ذاته، وعندئذٍ يغدو كل ما يفكر فيه باطلاً، وكل ما يتمناه شراً. وهذا هو الذي يقتل الإنسان، أي هذا هو الذي يسلبه آخر بقايا الحياة.

390. إن المقيم في الشر والباطل يعيش خوفاً دائماً من أن يقتل وكان موسى قد وصف هذه الحالة فقال:

> **سوف تصير أرضكم خراباً، ومدنكم ركاماً. والباقون منكم ألقي الجبن في قلوبهم، وأرسلهم إلى** أرض **أعدائهم حتى يهزمهم حفيف الورق المتحرك فيهربون منه هروبهم من السيف، ويسقطون حين لا يطاردهم أحد، فيتعثر الواحد بالآخر كمن يهرب من سيف، بينما لا يطارده أحد.**
>
> **(لاويين 26: 33، 36، 37)**

ويقول أشعياء:

فاعلو الشر يفعلونه، ويفعل فاعل الشر شرّاً. وعندئذٍ يسقط الهارب من صوت الرعب في الحفرة؛ والصاعد من الحفرة يؤخذ بالفخ؛ زعزعت الأرض زعزعة، ومادت... ثقلت عليها معصيتها فسقطت ولن تنهض بعد.

(أشعياء. 24: 16-20)

ويقول إرميا:

هاأنذا أجلب عليك الرعب من كل أطرافك، يقول السيد رب الجنود، فتهربون كل في اتجاه، ولا أحد يجمع الهاربين.

(إرميا. 49: 5)

ويقول أشعياء:

وقلتم: لا بل على الخيل نهرب، ولذلك تهربون؛ وعلى الرامحات نرمح، ولذلك يكون مطاردوكم سراعاً. ألف يهربون خوفاً من واحد، وخوفاً من خمسة تهربون..

(أشعياء. 30: 16، 17)

في هذه النصوص من الكتاب المقدس، وُصف القائمون في الشر والباطل، بأنهم «هاربون» و«خائفون من أن يقتلوا». إن كلهم يخاف، لأن أحداً لا يحميهم. والقائمون في الشر والباطل يكرهون القريب، ولذلك فإن كلاً منهم يعمل على قتل الآخر.

391. وحسب حالة الأرواح الشريرة في الحياة الأخرى، يمكننا أن نرى بوضوح أن المقيمين في الشر والباطل يخافون من أي شيء كان، وأن الذين فقدوا الرحمة يضلون ويهربون. وأينما حلوا فإن المجتمع الجديد سرعان ما يكتشف جوهرهم، لأن هذا النوع من الإدراك الحسي موجود في الحياة الأخرى؛ فلا يكتفون بطردهم، بل إنهم ينزلون بهم عقاباً صارماً، ويتمنون لو يقتلونهم لو استطاعوا ذلك. إن الأرواح الشريرة تجد متعة كبيرة في تعذيب بعضها بعض. وحتى يومنا هذا ليس معروفاً أن سبب ذلك هو الشر نفسه والباطل نفسه، لأن ما يتمناه أحدهم للآخر

يرتد إليه نفسه. فالشر والباطل يحملان في ذاتهما عقاب الشر والباطل، بالتالي الخوف من هذا العقاب.

392. (الآية 15). فقال له الكائن: لذلك فإن كل من يقتل قاين ينتقم منه بسبعة أضعاف. ووضع الكائن على قاين علامة كي لا يقتله من يجده.

«كل من يقتل قاين ينتقم منه بسبعة أضعاف»، معناها تحريم انتهاك الإيمان المنفصل. «ووضع الكائن على قاين علامة كي لا يقتله من يجده»، معناها أن الرب أبرز الإيمان بعلامة خاصة كي يبقى.

393. وقبل أن نظهر المغزى المكنون لهذه الكلمات، ينبغي علينا أن نبيّن حالة الإيمان. فالكنيسة الأولى لم تكن تعترف بأي إيمان سوى الإيمان النابع من المحبة، بل لم تشأ أن تذكر أي إيمان آخر، لأن أفراد هذه الكنيسة تلقوا من الرب عبر المحبة كل ما ينتمي إلى الإيمان، هكذا كان ملائكة السماء الذين تحدثنا عنهم سابقاً. ولكن بما أن النبوءة كانت قد قالت: إن الجنس البشري لا يمكنه أن يستمر على هذه الحال، وإنما سوف يفصل الإيمان عن محبة الرب ويجعل منه تعاليم مستقلة، لذلك جرى الأخذ بعين الحسبان أيضاً انفصال الإيمان ولكن على نحو يكتسب فيه الناس الرحمة من الرب عبر الإيمان، أي عبر معرفة الإيمان. ولذلك كان يجب أن تكون المعرفة أو الطاعة في أول الأمر، ثم عبر المعرفة أو الطاعة يمكن أن يمنح الرب الرحمة، أي محبة القريب والتعاطف معه. ولم يكن لهذه الرحمة ألاّ تكون منفصلة عن الإيمان وحسب، إنما كان يجب أيضاً أن تشكل جوهره الرئيس. وعندئذٍ شغل الضمير مكان الإدراك الحسي الذي كان موجوداً في الكنيسة الأولى، وهذا الضمير الذي سوف يكون مكتسباً عبر الإيمان المتحد مع الرحمة، سوف يشير إلى ما يعد حقيقة، وسيكون هذا حقيقة فعلاً لأن الرب قال هذا في الكتاب المقدس. وهذا ما كانت عليه على وجه العموم حال الكنائس التي قامت بعد الطوفان، وتلك أيضاً كانت حال الكنيسة البدائية، أو الكنيسة الأولى

التي نشأت بعد مجيء الرب؛ ويعد هذا العلامة الرئيسة التي تميز بين الملائكة الروحيين والملائكة السماويين.

394. وبما أن العناية الإلهية كانت قد استدركت ضرورة عدم هلاك الجنس البشري في موت أزلي، فقد قيل هنا، إنه ينبغي ألا يعتدي أحد على قاين الذي أشير به إلى الإيمان المنفصل عن الرحمة. وقيل أيضاً، إنه وضعت عليه علامة، وهذا يعني أن الرب ميز الإيمان بطريقة خاصة لكي يحفظه. إن هذه هي الأسرار التي لا تزال حتى الآن غير معروفة والتي أشارت إليها كلمات الرب التي ساقها متى. عن الزواج والخصيان:

> **لأن من الخصيان من ولدوا كذلك من بطون أمهاتهم، ومنهم من خصاهم الناس، ومنهم من خصوا أنفسهم من أجل ملكوت السموات. فمن استطاع أن يحتمل فليحتمل.**
>
> (متّى. **19**: **12**)

و«الخصيان» هنا هم أولئك الذين فيهم الزواج السماوي؛ و«المولودون من بطون أمهاتهم»، هم كملائكة السماء؛ و«من خصاهم الناس»، هم من يشبهون الملائكة الروحيين؛ و«من خصوا أنفسهم»، هم الذين يشبهون الأرواح الملائكية التي لا تسلك حسب الرحمة بقدر ما تسلك حسب الطاعة.

395. «كل من يقتل قاين ينتقم منه بسبعة أضعاف». إن هذه الكلمات تعني تحريم انتهاك الإيمان المستقل، وهذا واضح من معنى اسم «قاين» الذي يمثل الإيمان المستقل عن الرحمة، كما يتضح كذلك من مغزى العدد «سبعة» الذي يشير إلى الحصانة. ومن المعروف أن العدد «سبعة» عُدَّ عدداً مقدساً بسبب أيام الخلق الستة واليوم السابع الذي يمثل الإنسان السماوي الذي يقيم فيه السلام، والسكينة، والراحة. ولذلك غالباً ما يحضر العدد سبعة في شعائر الكنيسة اليهودية، وهو يشير في كل مكان إلى ما هو مقدس. ولهذا السبب عينه قسمت العصور الزمنية، الطويلة منها والقصيرة إلى سبعات دعيت «أسابيع»، ومثلها الأطوار الزمنية الطويلة قبل مجيء المسيّا (دانيال 9: 24، 25)؛ كما دعيت حقبة السنوات السبع «أسبوعاً»

أيضاً (تكوين 29: 27، 28). ولذلك فإنه أينما ورد العدد سبعة، عد عدداً مقدساً أو ثابتاً. يقول داود:

سبّحتك **سبع مرات في اليوم على أحكام عدلك.**

(مزامير 118: 164)

ويقول أشعياء:

ويصير نور القمر كنور الشمس، ونور الشمس يصير سبعة أضعاف كنور سبعة أيام...

(أشعياء 30: 26)

«فالشمس»، تعني هنا المحبة، و«القمر يعني الإيمان النابع من المحبة والذي ينبغي أن يكون كالمحبة. وبما أن أطوار تجدّد الإنسان تنقسم إلى ستة أطوار، فإن أطوار دماره تنقسم بدورها إلى ستة، إلى أن لا يبقى أي شيء سماوي. وقد تمثل هذا في سبي اليهود مرات عدة وفي السبي البابلي الأخير الذي استمر سبعين عاماً أو سبعة عقود. وقيل أيضاً: إن الشمس يجب أن ترتاح في أيام سبوتها. وهذا ما مثّله نبوخذ نصر أيضاً. يقول دانيال:

وليؤخذ منه القلب البشري، وليعط قلب وحش، ولتمر عليه سبعة أزمنة.

(دانيال 4: 13،)

ويقول يوحنا. في سياق حديثه عن خراب الأزمنة الأخيرة:

ورأيت آية أخرى في السماء عظيمة عجيبة: سبعة ملائكة معهم الضربات السبع الأخيرة...

(رؤيا يوحنا 15: 1، 6، 7، 8).

وسيدوس الوثنيون المدينة المقدسة اثنين وأربعين شهراً.

(رؤيا يوحنا 11: 2).

أو ست مرات ضرب سبع.

وجاء في الكتاب عينه:

ورأيت بيمين الجالس على العرش كتاباً مكتوباً من داخل ومن خارج، مختوماً بسبعة ختوم.

(رؤيا يوحنا. 5: 1).

ولهذا السبب عينه انعكست في العدد سبع المضاعفة الصارمة للعقاب، كما عند موسى:

ثم إن لم تطيعوني بعد هذا، ضاعفت عقابكم على خطاياكم سبع مرات.

(لاويين 26: 18، 21، 24، 28).

ويقول داود:

اعد جيراننا سبع مرات إلى بطون حملهم.

(مزامير. 78: 12).

وهكذا، بما أن انتهاك الإيمان كان تدنيساً للمقدسات، فقد قيل: «كل من يقتل قاين ينتقم منه بسبعة أضعاف».

396 . «ووضع الكائن على قاين علامة كي لا يقتله من يجده». إن معنى هذه الكلمات، هو أن الرب ميز الإيمان بوسيلة خاصة لكي يستطيع أن يبقى ويستمر، وهذا ما يوضحه معنى الكلمات: «علامة» و«وضع علامة» على أحد ما لتميزه عن غيره: يقول حزقيال:

وقال له الرب: اجتز في وسط المدينة، في وسط أورشليم، واجعل علامة على جباه الذين ينوحون ويندبون على كل الأرجاس **التي صنعت في وسطها.**

(حزقيال. 9: 4)

ولكن «جعل العلامة على الجباه» لا يعني هنا وضع علامة أو شرطة على الجباه لتمييز جماعة عن أخرى. فمثل هذا ورد أيضاً عند يوحنا:

وأمر الجراد بألا يؤذي إلا من لا يحمل ختم الله على جبينه.

(رؤيا يوحنا. 9: 4)

2. وفي الكتاب عينه تدعى هذه العلامة «سمة في الجبهة وعلى اليد» (رؤيا يوحنا. 14: 9). وكان لتقليد عصب اليد والجبين بالوصية الأولى، المغزى عينه لدى الكنيسة اليهودية، وهذا ما قال عنه موسى:

اسمع يا إسرائيل: إن الرب إلهنا رب واحد. فأحبب الرب إلهك بكل قلبك، وكل نفسك، وكل قدرتك. واعقد هذه الكلمات علامة على يدك، ولتكن عصائب بين عينيك.

(تثنية. 6: 4-8؛ 11: 13-18).

ومعنى هذا أنه كان ينبغي عليهم أن يميزوا وصية المحبة عن غيرها من الوصايا الأخرى. ومن هذا يتضح ما تعنيه عبارة «جعل علامة على اليد والجبين».

3. يقول أشعياء:

سآتي وأجمع كل الشعوب والألسنة، وسوف يأتون ويرون مجدي. وأجعل عليهم إشارة...

(أشعياء. 66: 18، 19)

ويقول داود:

التفت إليّ وارحمني، هب لعبدك قوتك، وخلص ابن أمتك؛ أظْهِر علي إشارة خير، ولير مبغضي ذلك فيخزوا...

(مزامير. 66: 16، 17)

لقد بات واضحاً الآن معنى الإشارة أو «العلامة». ولذلك يجب ألا يظنن أحد أن علامة ما قد وضعت على الإنسان المدعو قاين، لأن المغزى المكنون للكلمة ينطوي على ما هو مغاير تماماً لما يتضمنه مغزاه الحرفي.

397. (الآية 16). وابتعد قاين من أمام وجه الكائن وأقام في أرض نود، إلى الشرق من عدن.

«وابتعد قاين من وجه الكائن» تعني ابتعاده عن خير الإيمان النابع من المحبة، وهو ما يمكن أن نراه في شرح الآية 14؛ و«أقام في أرض نود» تعني إنه بات خارج الحقيقة والخير، وهذا واضح من معنى كلمة «نود» التي تعني التشرد والهروب،

كما أنه واضح من أن تحوله إلى «شريد طريد» يعني سلبه الحقيقة والخير، كما هو واضح أعلاه. و«إلى الشرق من عدن» تعني، أقرب إلى العقل، حيث كانت تسود المحبة من قبل، وتعني كذلك، أقرب إلى البصيرة، حيث كانت تسود البصيرة من قبل، وهو ما يتضح مما قيل سابقاً عن الكلمات: «إلى الشرق من عدن»، ونقصد هنا تحديداً إلى أن «الشرق» يعني الرب، و«عدن» تعني المحبة. لقد كان الروح الذي يتألف من الإرادة والإدراك واحداً موحداً عند أفراد الكنيسة الأولى، لأن الإرادة كانت فيه كله بحيث انبثق منها. وقد حدث هذا الاتحاد لأنهم لم يفرقوا بين المحبة التي تنتمي إلى الإرادة والإيمان الذي ينتمي إلى الإدراك، لأن المحبة كانت الكل، وكان الإيمان ينبع منها. ولكن بعد أن انفصل الإيمان عن المحبة، كما حصل للمدعوين «قاين»، لم تعد الإرادة تسود، ولأن العقل غدا السيد في الروح بدلاً من الإرادة، أي الإيمان بدلاً من المحبة، فقد قيل: إنه «أقام إلى الشرق من عدن»؛ لأنه جرى كما قلنا منذ لحظة، إبراز الإيمان بطريقة خاصة، أي «وضعت عليه علامة» لكي يبقى حتى تنتفع به البشرية.

399. (الآية 17). وعرف قاين امرأته، فحملت وولدت أخنوخ، ثم بنى مدينة سماها باسم ابنه: أخنوخ.

«وعرف قاين امرأته، فحملت وولدت أخنوخ»، معناها أن هذه الهرطقة أو الفرقة أنجبت هرطقة أخرى دعيت باسم «أخنوخ». و«المدينة التي بناها» تعني كل ما ينتمي إلى التعاليم والهرطقات النابعة منها. وبما أن هذا الفرقة أو الهرطقة دعيت «أخنوخ»، فقد قيل: إنه «سمى المدينة باسم ابنه: أخنوخ».

400. وتعني الكلمات: «عرف قاين امرأته، فحملت وولدت أخنوخ»، أن هذه الهرطقة أنجبت هرطقة أخرى. وهذا واضح من الآية السابقة، كما من الآية الأولى حيث قيل: إن آدم وحواء امرأته أنجبا قاين. ولذلك فإن الحمل والولادات التي تلت بعد، هي كهذه سواء جاءت من الكنيسة أو من الهرطقة التي تنتمي إليها نسباً، لأن بعضها يرتبط ببعض على هذا النحو بالضبط. فمن هرطقة متجذرة تنبثق هرطقات أخرى كثيرة.

401. ويدل معنى اسم « أخنوخ » إلى حد ما، على أن هذه الهرطقة، هي بوجوه تعاليمها العقيدية والهرطقية كلها، قد دعيت « أخنوخ »، فبعض معنى هذا الاسم يمثل بداية أو مدخلاً إلى التعاليم.

402. وتعني «المدينة التي بنيت»، كل ما ينتمي إلى التعاليم والهرطقة المنبثقة عنها، وهذا واضح في مختلف نصوص الكتاب المقدس التي يرد فيها اسم أي مدينة كانت؛ لأن كلمة «مدينة» في الكتاب المقدس لا تعني مدينة قط، إنما تعني دائماً شيئاً ما عقيدياً أو هرطقياً. فالملائكة لا يعرفون أبداً أي مدينة هذه وما اسمها؛ وليس لديهم أي فكرة عن المدينة، لأن أفكارهم روحية وسماوية، كما بيّنا سابقاً. إنهم لا يدركون سوى دلالة المدينة واسمها. «فالمدينة المقدسة» التي تدعى أيضاً «أورشليم المقدسة»، هي بالنسبة إليهم ملكوت الرب على وجه العموم أو في كل إنسان فيه هذا الملكوت. والمغزى نفسه «للمدينة» و«لجبل صهيون»؛ وهذا الأخير يعني درجة سماوية من الإيمان، أما الأولى فتعني درجة روحية منه.

2. كما وُصف السماوي والروحي «بالمدن» و«القصور»، و«المنازل» و«الأسوار» و«قواعد الأسوار»، و«المتاريس» و«البوابات» و«العتبات»، و«المعبد» القائم في وسط المدينة؛ كما ورد عند حزقيال. 48: 30-365؛ وفي رؤيا يوحنا. 21: 15-27؛ وعند إرميا. 31: 38، وعند داود 46: 5؛ ودعيت المدينة عند حزقيال: «الكائن هناك» (حزقيال. 48: 35). ويقول أشعياء:

وبنو الغرباء سيبنون أسوارك. وبنو الذين اضطهدوك يأتون إليك خاضعين، ويسجد لأخامص **قدميك كل من ازدراك، ويدعونك مدينة الكائن، صهيون قدوس إسرائيل.**

(أشعياء. 60: 10، 14).

ويقول زكريا:

... فتدعى أورشليم مدينة الحق، وجبل صهيون الجبل المقدس.

(زكريا. 8: 3).

و«مدينة الحق» أو «أورشليم» تعني هنا أشياء الإيمان الروحية؛ أما «المدينةالمقدسة» أو «صهيون» فإنها تعني أشياء الإيمان السماوية.

3. وبما أن أشياء الإيمان السماوية والروحية تمثلت في المدينة فإن كل ما يشكل التعاليم رمز إليه بمدن اليهودية وإسرائيل التي دعي كل منها باسمه الذي يعني حالة محددة من حالات التعاليم، ولكن أحداً لا يمكنه أن يعرف أي حالة هي على وجه الدقة إلا عبر المغزى المكنون. وبما أن «المدن» تعني حالات التعاليم، فإنها تعني في الوقت نفسه الهرطقات أيضاً، وفي هذه الحال فإن كل مدينة تعني بما يتوافق واسمها فكرة هرطقية محددة. والآن يمكننا أن نرى من مقاطع الكتاب المقدس التالية، أن «المدينة» على وجه العموم تعني شيئاً ما عقيدياً أو هرطقياً.

4. يقول أشعياء:

في ذلك اليوم تكون خمس مدن في أرض مصر تتكلم بلغة كنعان وتحلف لرب الجنود؛ ويقال لإحداها مدينة الشمس.

(أشعياء. 19: 18)

والحديث يجري هنا عن معرفة الأشياء الروحية والسماوية في زمن مجيء الرب. يقول أشعياء. أيضاً:

أيتها المدينة الصاخبة، المضطربة، المدينة المرحة...

(أشعياء. 22: 2)

والحديث يجري هنا عن وادي الرؤى، أي عن التخيل. يقول إرميا:

قد أغلقت مدن الجنوب ولا فاتح لها...

(إرميا. 13: 19).

ويجري الحديث لدى إرميا. هنا عن الذين يقيمون «في الجنوب»، أي في نور الحقيقة، ويطفئونها. وهو يقول أيضاً:

عزم الرب أن يدمر سور بنت صهيون. مد الخيط ولم يردد يده عن أن يمحق. غاصت في الأرض أبوابها، ودمر وحطم مزاليجها...

(مراثي إرميا. 2: 8، 9).

إن كلاً منا يستطيع أن يرى هنا أن «السور»، و«التحصينات الخارجية»، و«البوابات»، و«المزاليج» تعني بعض حالات التعاليم.

5. كما يقول أشعياء:

في ذلك اليوم ينشد هذا النشيد في أرض يهوذا: لنا مدينة حصينة، خلاصاً منحنا هو بدل الأسوار والمتراس. افتحوا الأبواب، وليدخل الشعب الصدّيق الحافظ للحق.

(أشعياء. 26: 1، 2).

ويقول أيضاً:

.... أرفعك وأعترف **لاسمك، لأنك جعلت من مدينة كوماً من الحجارة، ومن قلعة حصينة خراباً؛ قصور الغرباء ما عادت في المدينة، ولن تبقى إلى الأبد. ولذلك سوف تمجدك الشعوب القوية، وتهابك مدن القبائل الرهيبة.**

(أشعياء. 25: 1، 2، 3)

ومن الواضح أن الحديث في هذا النص لا يدور عن مدينة ما بعينها. وقد جاء في نبوءة بلعام:

ويكون آدم ميراثاً له، ويتسلط الذي من يعقوب ويهلك ما يبقى من المدينة.

(عدد 24: 18، 19)

إن أياً منا يستطيع أن يرى أن «المدينة» هنا لا تعني مدينة. يقول أشعياء:

قد دكت المدينة الخالية وأغلق كل بيت عن الدخول، إنهم **يبكون آثامهم في الشوارع.**

(أشعياء. 24: 10، 11).

وتعني «المدينة الخالية» هنا بطلان التعاليم. وتعني الشوارع هنا كما في النصوص الأخرى، انتماء المدينة للباطل أو الحق. يقول يوحنا:

وصب الملاك السابع جامه... وصارت المدينة العظيمة ثلاثة أقسام، وسقطت المدن الوثنية...

(رؤيا 16: 17، 19)

إن أيّاً منا يستطيع أن يدرك أن «المدينة العظيمة»، هي الهرطقة، وكذلك أيضاً «المدن الوثنية». ويتبيّن أيضاً أن المدينة العظيمة تعني المرأة التي رآها يوحنا. (رؤيا 17: 18)؛ وأن المرأة بدورها تعني كنيسة مشابهة.

403. إذن، لقد بات واضحاً من النصوص التي أوردناها، ماذا تعني كلمة «مدينة». ولكن بما أن هذا الجزء من التوراة قد عرض بصفته تاريخاً، فإن الذين يقيدهم المغزى الحرفي يظنون أن قاين هو من بنى المدينة ودعاها أخنوخ؛ مع أنهم يجب أن يدركوا حتى بالمغزى الحرفي أن الأرض كانت قد استوطنت بصرف النظر عن كون قاين بكر آدم. ولكننا كنا قد أشرنا سابقاً إلى أن القدماء كانوا يمثلون كل شيء عبر نماذج أصلية في صيغة قصة، وكان مثل هذا الأمر محبباً جداً إلى قلوبهم، فكل شيء كان يبدو لهم حياً زمنئذٍ.

404. (الآية 18). وولد لأخنوخ عيراد، وولد عيراد ميحائيل؛ ومحيائيل ولد متوشائيل؛ ومتوشائيل ولد لامك.

إن هذه الأسماء كلها تعني هرطقات تفرعت كلها عن الهرطقة الأولى المدعوة «قاين»؛ ولكن بما أن شيئاً منها لم يبق، ما عدا الاسم، فإنه لا لزوم لقول شيء ما عنها.

ولكن يمكن استخراج شيء ما من الأسماء؛ فاسم عيراد مثلاً «مشتق من المدينة»، أي من الهرطقة التي دعيت « أخنوخ» ، إلخ...

405. (الآية 19). واتخذ لامك له امرأتين اسم أحداهما عادة، واسم الأخرى صلّة.

إن لامك الذي يأتي سادساً بعد قاين، هو الخراب الذي يحل عندما لا يكون ثمة إيمان. و«امرأتاه» تعنيان ظهور كنيسة جديدة؛ وتعد «عادة» والدة أشياء هذه الكنيسة السماوية والروحية؛ أما «صلّة» فهي والدة الأشياء الطبيعية.

406. إن «لامك» يعني الخراب، أي عدم وجود أي إيمان. وهذا واضح من الآيتين 23، و24 اللتين قيل فيهما: إنه «قتل رجلاً لجرحه وطفلاً صغيراً لشره»، «فالرجل» هو الإيمان، و«الطفل» هو الرحمة.

407. وهاكم ما يحدث في حالة الكنيسة على وجه العموم: مع مرور الزمن تبتعد عن الإيمان الحقيقي إلى أن تفقده تماماً؛ وحينما تخلو الكنيسة من الإيمان على وجه العموم، عندئذٍ يقال: إنها تحولت إلى «خراب». وهذا هو الذي حدث للكنيسة الأولى لدى المدعوين قاينيين، وللكنيسة القديمة التي نشأت بعد الطوفان، وللكنيسة اليهودية التي تحولت بعد مجيء الرب إلى كنيسة بلغ الخراب فيها حداً عجز اليهود عنده عن معرفة أي شيء عن الرب، عن ضرورة مجيئه إلى العالم ليخلصهم، وعن الإيمان به. ومثل هذا أيضاً وقع للكنيسة المسيحية الأولى التي عاشت بعد مجيء الرب مباشرة، وهي الآن في حالة خراب اجتث منها كل شكل من أشكال الإيمان. بيد أنه يبقى دائماً ثمة نواة للكنيسة لا يعترف بها عادة الفقراء للإيمان. وهذا ما حصل للكنيسة الأولى التي بقيت بقيتها قبل الطوفان واستمرت باقية بعده. وتدعى هذه البقية الباقية «نوح».

408. وعندما تغدو الكنيسة خربة إلى حد خلوها من الإيمان، فعندئذٍ وليس قبل ذلك، تظهر من جديد، أي يبدأ ضياء نور جديد دعاه الكتاب المقدس «صباحاً». ولا يظهر النور الجديد أو «الصباح» إلا بعد أن تغدو الكنيسة خراباً، لأن ما يشكل الإيمان والرحمة يختلط بما هو دنس؛ وما دام مثل هذا التخالط قائماً، فإنه ليس بمقدور أي نور أو رحمة أن يتسرب، لأن النبات السام يقتل كل بذرة صالحة. وعندما لا يكون ثمة إيمان فإنه لا يمكن تدنيسه، لأن الناس لا تصدق ما يقال؛ وأولئك الذين لا يعترفون ولا يؤمنون، بل يعرفون وحسب، لا يستطيعون أن يدنسوا. فاليهود الذين يعيشون في أوساط المسيحيين اليوم، لا يمكنهم ألا يعرفوا أن المسيحيين يعترفون بالرب الذي هو المسيّا الذي انتظروه هم أنفسهم وما زالوا بانتظاره، بيد أنهم عاجزون عن فعل التدنيس، لأنهم لا يعترفون بهذا ولا يؤمنون به. والأمر نفسه ينسحب على المسلمين والوثنيين الذين سمعوا عن الرب. ولذلك لم يأت الرب إلى العالم إلا بعد أن كفت الكنيسة اليهودية عن الاعتراف والإيمان.

409. وهذا ما حدث أيضاً للهرطقة المسماة «قاين»، إذ حل بها الخراب مع مرور الزمن، لأنها وعلى الرغم من اعترافها بالمحبة وضعت الإيمان في المقام الأول وفصلته على المحبة. وبالتدرج حادت الهرطقات التي خرجت من قاين حتى عن هذا،

فلامك الذي كان السادس من حيث الترتيب رفض حتى الإيمان رفضاً تاماً. ولما حل مثل هذا الزمن، سطع نور جديد، أو صباح جديد، وقامت كنيسة جديدة دعيت هنا «عادة وصلّة»، «امرأتا لامك». لقد دعيت هاتان امرأتي لامك الذي لم يكن لديه أي إيمان، مثلما دعيت في الكتاب المقدس كنيستا اليهود الداخلية والظاهرية «امرأتين»، فاليهود أيضاً لم يكن لديهم أي إيمان. وتمثل مثل هذا كذلك في ليئة وراحيل، زوجتي يعقوب، إذ مثّلت ليئة الكنيسة الظاهرية، ومثّلت راحيل الكنيسة الداخلية. ومع أن الكنيستين تتمثلان في اثنتين، إلا أنهما تشكلان كنيسة واحدة؛ لأن الكنيسة الظاهرية المستقلة عن الداخلية، تعد شيئاً ما يشبه عبادة الأوثان، أو شيئاً ما ميتاً، بينما الكنيسة الداخلية تمثل مع الظاهرية الكنيسة عينها، كما عادة وصلّة هنا. ولكن بما أن يعقوب وخلفائه، كما لامك وخلفائه لم يكن لديهم أي إيمان، ولما لم يكن بمقدور الكنيسة أن تبقى عندهم، فقد تحولت إلى الوثنيين الذين لم يكونوا يعيشون خارج الإيمان، ولكن خارج العناية الإلهية. ونادراً ما كانت الكنيسة تبقى، هذا إذا كان مثل هذا الأمر قد حصل أصلاً، لدى أولئك الذين يمتلكون الحقائق التي حل بها الدمار، إذ سرعان ما تتحول إلى الذين لا يعرفون أي شيء عن هذه الحقائق، لأن مثل هؤلاء يقبلون الإيمان بسهولة أكثر بكثير من الآخرين.

410. والخراب نوعان: يحدث النوع الأول لدى الذين يعرفون ولا يريدون أن يعرفوا، أو يرون ولا يريدون أن يروا، وهذا ما كانت عليه حال اليهود قديماً، وما هي عليه حال المسيحيين اليوم؛ ويقع النوع الثاني للذين يعرفون شيئاً ولا يرون شيئاً بسبب غياب العناية الإلهية، وهذه هي حال الوثنيين قديماً وحديثاً. وعندما يحل الزمن الأخير لخراب الذين يعرفون ولا يريدون أن يعرفوا، أو يرون ولا يريدون أن يروا، تظهر الكنيسة من جديد، ولكن ليس عندهم، بل عند الذين يدعونهم هم وثنيين. وهذا ما حصل للكنيسة الأولى قبل الطوفان، والكنيسة القديمة بعد الطوفان، كما حصل أيضاً للكنيسة اليهودية. إن النور الجديد يبدأ ضياؤه عندئذٍ بالضبط، وليس قبل ذلك، لأنهم يعجزون عندئذٍ عن تدنيس الرؤيا، لأنهم لا يعترفون ولا يؤمنون بأنها حقيقة.

411. وكان الرب قد أعلن مراراً على لسان الأنبياء، أن زمن الخراب الأخير يجب أن يأتي قبل أن يتسنى للكنيسة الجديدة الظهور. وتستخدم كلمة «خراب» هناك لدى الحديث عن أشياء الإيمان السماوية، بينما تستخدم كلمة «إقفار» عند الحديث عن أشياء الإيمان الروحية، وينسحب هذا أيضاً على «التمام» و«الخراب». (أشعياء. 6: 9، 11، 12؛ 23: 8-18؛ 24: 1-23؛ 42: 15-18؛ إرميا. 25: 1-38؛ دانيال 8: 1-27؛ 9: 24-27؛ صفنيا 1: 1-18؛ تثنية 32: 1-52؛ رؤيا يوحنا. 15: 1-8؛ 16: 1-21).

412. (الآية 20). فولدت عادة يابل، وهو أبو ساكني الخيام مع قطعانهم

و«عادة» تعني كما مر معنا، والدة أشياء الإيمان السماوية والروحية؛ و«يابل» الذي كان أبو الذين سكنوا الخيام مع قطعانهم، هو تعاليم مقدسات المحبة والخير النابع منها، وتعد هذه سماوية.

413. وكون «عادة» تعني أم أشياء الإيمان السماوية، هو أمر واضح من تسمية بكرها «يابل»الذي دُعي «أبو ساكني الخيام مع قطعانهم»، فهؤلاء يعدون سماويين، لأنهم يعنون مقدسات المحبة والخير النابع منها.

414. «فالذي يعيش في الخيام» يعني طهارة المحبة. ويتضح هذا من معنى «الخيام» في الكتاب المقدس. يقول داود:

يا رب! من يحل في خيمتك؟ ومن يستطيع أن يسكن في جبلك المقدس؟

السالك بلا عيب وفاعل البر والمتكلم بالحق في قلبه.

(مزامير. 4: 1-2)

فمقدسات المحبة هنا، التي تكمن في السلوك بلا عيب، وفعل البر، وقول الحق، وصفت بقوله: «يحل في خيمتك»، أو «في جبلك المقدس». يقول داود أيضاً:

في الأرض كلها ذاع صوتهم، وحتى أقاصي المسكونة وصل كلامهم.

وللشمس نصب خباء فيهم...

(مزامير. 18: 4)

«فالشمس» هنا هي المحبة. وقال أيضاً:

أسكن في خبائك مدى الدهور، اعتصم بستر جناحك...

(مزامير 60: 5)

و«الخباء» هنا سماوي، و«ستر الجناح» روحي ينبثق منه. يقول أشعياء:

فإنه بالرحمة يثبت العرش، ويجلس عليه بالحق في خيمة داود قاض يبتغي الإنصاف ويسعى إلى العدل.

(أشعياء 16: 5).

«فالخيمة» تعني هنا مقدسات المحبة التي وصفت بكلماته: «قاض يبتغي ويسعى إلى العدل». ويقول أيضاً:

انظر إلى صهيون مدينة أعيادنا، ترى عيناك أورشليم مسكناً مطمئناً خباء لا يظعن...

(أشعياء 33: 20).

2. ويقول إرميا. عن أورشليم السماوية:

هكذا قال الرب: هاأنذا أُعيد جلاء أخبية يعقوب وأرحم **مساكنه؛ وتبنى المدينة على تلها، ويؤسس الهيكل على رسمه.**

(إرميا 30: 18)

«فجلاء الأخبية» يعني خراب ما هو سماوي، أو خراب مقدسات المحبة. يقول عاموس:

في ذلك اليوم أقيم خيمة داود التي سقطت، وأخيط ثلمها، وأعيد بناء ما تهدم كما كان في الأيام القديمة.

(عاموس 9: 11)

و«الخيمة» هنا تعني أيضاً، الأشياء السماوية والمقدسات. يقول إرميا:

قد نادوا بحطم على حطم: الأرض كلها دمرت، دمرت أخبيتي بغتة، وسجفي في لحظة.

(إرميا 4: 20).

ويقول في مكان آخر:

خبائي قد دمر، وجميع أطنابي قطعت؛ بنيّ رحلوا عني ولا وجود لهم: ليس من يمد خبائي بعد، ويقيم سجفي.

(إرميا. 10: 20).

ويعني «الخباء» هنا ما هو سماوي، و«السجف» و«الأطناب» ما هو روحي ونابع منه. ويقول إرميا. أيضاً:

إنهم يأخذون أخبيتهم وغنمهم ويستولون على سجفهم وجميع أدواتهم وإبلهم...

(إرميا. 49: 29).

إن الحديث يجري هنا عن شبه جزيرة العرب وأبناء الشرق الذين يمثلون أناساً يملكون أشياء سماوية أو مقدسات. يقول إرميا. في مراثيه:

سكب كنار سخطه على خباء بنت صهيون.

(مراثي إرميا. 2: 4)

والحديث يجري هنا عن خراب أشياء الإيمان المقدسة، أو الأشياء السماوية.

3. إن «الخباء» في الكتاب المقدس يعني الأشياء السماوية ومقدسات المحبة، لأن الناس في الأزمنة القديمة كانوا يقيمون الشعائر المقدسة للخدمة الإلهية في خيامهم. ولكن عندما أخذوا يدنسون الخيام بإقامة طقوس دنسة فيها، أقاموا الخيمة المقدسة، خيمة الاجتماع، ثم بعد ذلك المعبد، ولذلك فإن الخيام كانت تعني كل ما عنته فيما بعد خيمة الاجتماع، ثم المعبد. ولهذا السبب عينه دعي الإنسان الصالح «خباء» الرب، و«خيمة اجتماعه»، و«معبده». ويتضح مما ورد عند داود إن هذه الأشياء لها المعنى عينه:

واحدة سألت الكائن وإياها فقط التمس، أن أقيم في بيت الكائن جميع أيام حياتي، فأعاين جمال الكائن وأتردد إلى معبده، لأنه يخبئني في خيمته يوم الشر، ويسترني بستر خبائه وعلى صخرة يرفعني. فحينئذٍ يعلو رأسي فوق أعدائي الذين يحيطون بي؛ وأذبح **في خبائه ذبائح تسبيح: وأرنم أمام الرب وأمجده.**

(مزامير. 26: 4-6)

4. بالمغزى الأسمى يعد الرب بالنسبة لطبيعته البشرية «خباء»، «خيمة» و«معبداً»؛ ولذلك هكذا سمي كل إنسان سماوي، وكل ما هو سماوي ومقدس. وبما أن الكنيسة الأولى كانت هي المحبة أكثر إلى قلب الرب من الكنائس التي جاءت بعدها، وبما أن الناس عاشوا زمنئذٍ وحيدين، أي في عائلاتهم، وأقاموا

الخدمة الإلهية المقدسة كل في خيمته، لذلك عدت الخيام أكثر قداسة من المعبد الذي دنس. وتخليداً لذكرى تلك القدسية تأسس عيد المظال الذي تجتمع فيه منتوجات الأرض. وفي أثناء هذا العيد ينبغي على الإسرائيليين أن يقيموا في خيام تشبه الخيام الأولى (لاويين 23: 39-44؛ تثنية 16: 13. هوشع. 12: 9).

415 . و«أبو القطعان» تعني الخير الآتي من مقدسات المحبة؛ وهذا واضح مما جاء في الآية الثانية من هذا الإصحاح، حيث يظهر أن «راعي القطيع» يعني خير الرحمة. بيد أنه قيل هنا: «أبو» وليس «راعي»، كما استخدمت هنا كلمة «قطعان» بدلاً من كلمة «قطيع»؛ وجرى الحديث عن «القطعان» مباشرة بعد كلمة «خيام»، ومن هنا يتضح أن هذا يعني الخير الآتي من مقدسات المحبة، وأن المقصود هو المساكن التي كانت مرابع للقطعان، أو أبو ساكني الخيام ومراتع القطعان. ويتبين من نصوص شتى في الكتاب المقدس أن هذه التعابير تعني الخير النابع من أشياء المحبة السماوية. يقول إرميا:

> وأجمع **بقية غنمي من جميع الأراضي التي طردتها إليها، وأردها إلى مراتعها، فتثمر وتكثر.**
>
> **(إرميا. 23: 3)**

ويقول حزقيال:

> **في مرعى صالح سوف أرعاها، وفي جبال إسرائيل العالية تكون حظيرتها. سوف تربض هناك في حظيرة صالحة وترعى في مرعى دسم على جبال إسرائيل.**
>
> **(حزقيال. 34: 14).**

وتعني «الحظيرة» و«المرعى» اللذان قيل عنهما هنا أنهما دسمان، يعنيان الخير النابع من المحبة. يقول أشعياء:

> **ويصب مطره على زرعك الذي تزرع به الحقل، فالخبز غلة الأرض، وسوف يكون دسماً وسميناً؛ وفي ذلك اليوم سترعى ماشيتك في مروج فسيحة.**
>
> **(أشعياء. 30: 23)**

فالخبز هنا هو السماوي، والمرعى «الدسم» الذي سترعى فيه الماشية، هو الخير الآتي منه. يقول إرميا:

فإن الرب قد افتدى يعقوب... فيأتون ويحتفلون على مرتفعات صهيون؛ ويجرون إلى طيبات الرب، إلى الحنطة والخمرة الجديدة والزيت، وإلى أولاد الغنم والبقر؛ وتكون نفوسهم كجنة ريا، وسوف لن يعمهوا بعد.

(إرميا. 31: 11، 12)

لقد وصفت طهارة الكائن وقدسيته هنا «بالحنطة» و«الزيت»، ووُصف الخير النابع منهما «بالخمرة الجديدة» و«أولاد الغنم» أو «البقر». ويقول إرميا. أيضاً:

فيأتي الرعاة بقطعانهم إلى بنت صهيون ويضربون أخبيتهم حولها؛ ويرعى كل منهم في مرعاه.

(إرميا. 6: 3)

وبنت صهيون هنا هي الكنيسة السماوية التي تنتمي «الخيام» و«قطعان الحيوانات» إليها.

416. وكون الدلالة هنا إلى مقدسات المحبة والخير النابع منها، أمر واضح من أن يابل لم يكن أول من «سكن الخيام ومراتع القطعان»، لأنه قيل أيضاً إن هابيل الابن الثاني لآدم وحواء، كان «راعي غنم»، ويابل كان ترتيبه السابع بدءاً من قاين.

417. (الآية 21). واسم أخيه يوبل، وهو أبو كل عازف على العود والمزمار.

و«اسم أخيه يوبل» تعني تعاليم الأشياء الروحية للكنيسة عينها. و«أبو كل عازف على العود والمزمار» تعني حقائق الإيمان وخيره.

418. لقد تحدثنا في الآية السابقة عن الأشياء السماوية التي تنتمي إلى المحبة، كما يجري الحديث في الآية عينها عن الأشياء الروحية التي تنتمي إلى الإيمان، وقد تمثلت في «العود والمزمار». وثمة كثير مما يدل على أن الآلات الوترية كالعود وما شابه، تعني أشياء الإيمان الروحية. وفي الخدمة الإلهية التي كانت تقام

في الكنيسة الأصل لم تكن مثل هذه الآلات تعني أي شيء آخر؛ ولهذا بالذات كان هناك كثير من المنشدين والعازفين. ويقوم السبب الرئيس لهذا النموذج الأصل في كون كل سعادة سماوية تنتج فرحاً في القلب ينعكس أغنية ثم لحناً على آلة وترية ينافس الأغنية ويسمو بها. إن كل إحساس من القلب قادر على إنتاج أغنية، بالتالي قادر على إنتاج كل ما له صلة بالغناء. فإحساس القلب مسألة سماوية، أما الغناء النابع منه، فإنه مسألة روحية. وكون الغناء وما شابهه يعني ما هو روحي، قد أوحي إليّ به عبر جوقات الملائكة التي تتوزع عادة على نوعين: سماوي وروحي. وتتميز الجوقات الروحية عن السماوية بنغمة غنائها الترجيعية التي يمكن مقارنتها بصوت الآلات الوترية، وهذا ما سوف نتحدث عنه بنعمة الرب الإلهية فيما بعد. لقد رد القدماء ما هو سماوي إلى ميدان القلب، وما هو روحي إلى ميدان الرئتين، بالتالي إلى كل ما له صلة بالرئتين، كالصوت المغني مثلاً وما يشبه ذلك، بالتالي إلى أصوات أو نغمات مثل هذه الآلات. ولا يكمن السبب فقط في كون القلب والرئتين يمثلان ما يشبه الزوج، كما هي حال المحبة والإيمان، بل يكمن كذلك في أن الملائكة السماويين ينتمون بدورهم إلى ميدان القلب، بينما ينتمي الملائكة الروحيون إلى ميدان الرئتين. ونحن نستطيع أن نتحقق من كون معنى هذه الكلمات هو هكذا فعلاً، من كونها كلمات الرب نفسه، ومن أنها كانت ستكون كلمات ميتة فيما لو لم تتضمن إضافة إلى ذلك أن يوبل كان أبو العازفين على العود والمزمار؛ وإلا ما الحكمة من ضرورة معرفة ذلك.

419. وكما أن الأشياء السماوية هي جوهر مقدسات المحبة والخير النابع منها، كذلك فإن الأشياء الروحية جوهر الحقيقة وخير الإيمان؛ لأن الإيمان يتصف بقدرته لا على فهم ماهية الحقيقة وحسب، بل على فهم ماهية الخير أيضاً. فمعرفة الإيمان تتضمن هذه وتلك، ولكن السماوي يكمن في ضرورة أن يكون الأمر كما يعلّم الإيمان. وبما أن الإيمان ينطوي على هذه وتلك، فقد أشير إلى هذا بآلتين موسيقيتين: العود والمزمار... ومن المعروف أن العود آلة وترية، ولذلك فهي تعني

الحقيقة الروحية؛ أما المزمار الذي يشغل حالة وسطاً بين الآلات الوترية[1] والهوائية، فهو يعني الخير الروحي.

420. ويرد في الكتاب المقدس ذكر شتى الآلات الموسيقية، ولكل منها مغزاه، وهو ما سوف نبينه بنعمة الرب في حينه؛ أما هنا فسأسوق ما ورد عند داود فقط:

... وأذبح للرب في خبائه ذبائح تسبيح وفرح، وأرنّم أمام الكائن وأمجّده.

(مزامير 26: 6).

لقد أشير هنا إلى السماوي «بالخباء»، وأشير إلى الروحي المنبثق منه «بتسابيح الفرح»، «بالترنيم»، و«التمجيد». ويقول داود أيضاً:

رنّموا للكائن أيها الصديقون، فإن التسبيح يليق بالمستقيمين. مجدوا الكائن بالمزمار، غنوا له على عود عشاري الأوتار، رنموا له ترنيماً جديداً. أحسنوا العزف والتسبيح، فإن كلمة الكائن مستقيمة وجميع أعماله بأمانة.

(مزامير 32: 1-4)

إن هذا يعني حقائق الإيمان التي يقال هذا عنها.

2. لقد كانت الأشياء الروحية أو حقائق الإيمان وخيره، تمجد بالعود والمزمار مغنّاة، لكن الأشياء المقدسة أو السماوية، أشياء الإيمان كانت تمجد بالعزف على الآلات الهوائية كالأبواق وما شابه من الآلات. وهذا ما يفسر استعمال آلات موسيقية كثيرة عند المعبد، لأنه غالباً ما كان ثمة حاجة للآلات للاحتفال بهذا الحدث أو ذاك؛ ولذلك كانت الآلات ترمز إلى ما يمجد بها. يقول داود:

سأمجّدك على آلة العود يا إلهي، وأسبّحك بالمزمار يا قدوس إسرائيل! تفرح شفتاي إذ أنشد لك، وروحي التي أنقذتها.

(مزامير 70: 22، 23)

وهذا ما ينسحب على حقائق الإيمان أيضاً. يقول داود:

1- المزمار آلة موسيقية هوائية: آلة نفخ وحسب. م.

مجّدوا الكائن بالتناوب؛ انشدوا لإلهنا بالمزمار.

(مزامير 14: 7)

فكلمة «مجّدوا» هنا تنتمي إلى أشياء الإيمان السماوية، لذلك استخدم اسم «الكائن»؛ وتنتمي «انشدوا بالمزمار» إلى أشياء الإيمان الروحية، ولذلك استخدمت كلمة «إله».

3. يقول داود:

ليسبحوا اسمه بالرقص، لينشدوا له بالدف والمزمار.

(مزامير 149: 3)

و«الدف» هنا هو الخير، أما «المزمار» فهو الحقيقة التي يمجدونها. ويقول داود أيضاً:

4. سبحوه بصوت البوق، سبحوه بالعود والمزمار، سبحوه بالدف والرقص، سبحوه بالأوتار والمزمار، سبحوه بصوت الصنوج، سبحوه بصنوج النفير.

(مزامير 150: 3-5)

إن هذه الآلات تعني خير الإيمان وحقائقه التي هي موضوع المديح. ولم تكن بنا حاجة لأن نهتم لكثرة الآلات الموسيقية التي ورد ذكرها هنا، لو لم يكن لكل منها غرضه. يقول داود:

أرسل نورك وحقك فهما يهدياننني ويأتيان بي إلى جبلك المقدس وإلى مساكنك. فأدخل إلى مذبح الرب، إلى إله فرحي وابتهاجي، وسأمجدك بالمزمار يا إلهي.

(مزامير 42: 3-4)

والحديث يجري هنا عن معارف الخير والحقيقة.

5. يقول أشعياء:

خذي عوداً وطوفي في المدينة أيتها الزانية المنسية، أحسني العزف وأكثري الغناء لكي تذكري.

(أشعياء 23: 16).

إن الحديث يجري هنا عن أشياء الإيمان ومعارفه. ويبدو هذا أكثر وضوحاً لدى يوحنا:

ولما أخذ الكتاب خرّت الحيوانات الأربعة، والأربعة وعشرون شيخاً أمام الحمل، وكان لكل منهم قيثارة وجامات من ذهب ممتلئة بخوراً، وهي كنه صلوات القديسين.

(رؤيا يوحنا. 5: 8)

ويجب أن يكون معروفاً لكل منا أنه لم يكن لدى الحيوانات والشيوخ أي قيثارات، وأن هذه الأخير ترمز إلى حقائق الإيمان، بينما ترمز «الجامات الذهبية الممتلئة بخوراً» إلى خير الإيمان. وقد دعا داود أصوات الآلات الموسيقية «تسابيح»، و«تمجيداً» (مزامير. 42: 5؛ 69: 31). ويقول يوحنا:

وسمعت صوتاً من السماء كصوت مياه غزيرة، وكصوت رعد قاصف، والصوت الذي سمعته هو صوت عازفين على قيثاراتهم، كأنهم يسبّحون تسبيحة جديدة.

(رؤيا يوحنا. 14: 2، 3).

ويقول أيضاً:

ورأيت مثل بحر من زجاج... والذين غلبوا الوحش... واقفين على بحر الزجاج ومعهم قيثارات الإله.

(رؤيا يوحنا. 15: 2)

ومن الضروري القول، إن الملائكة والأرواح يميزون الأصوات وفق الاختلافات في الخير وفي الحقيقة. ولا ينسحب هذا على أصوات الغناء وأصوات الآلات الموسيقية فقط، بل ينسحب على نغمات الأصوات أيضاً. وهم لا يجيزون منها إلا المتناغمة، بالتالي الآلات التي لها ماهية الخير والحقيقة وجوهرهما.

421. (الآية 22). وصلّة أيضاً ولدت توبلقايين، وهو معلّم كل النحاسين والحدادين. وأخت توبلقايين هي نعمة.

«صلّة» تعني، كما قلنا سابقاً، أم الأشياء الطبيعية للكنيسة الجديدة؛ و«توبلقايين الذي كان معلّم كل النحاسين والحدادين»، تعني تعاليم الخير الطبيعي والحقيقة، «فالنحاس» يعني الخير الطبيعي، و«الحديد» يعني «الحقيقية» الطبيعية. و«نعمة أخت توبلقايين» تعني الكنيسة الأخرى، أو تعاليم الخير الطبيعي والحقيقة التي وأن كانت مشابهة لتلك الكنيسة، إلا أنها لم تشكل معها كلاً واحداً.

422. ويمكننا على مثال الكنيسة اليهودية التي كانت داخلية ومنظورة، أن نرى كيف كانت هذه الكنيسة الجديدة. فالكنيسة الداخلية تألفت من الأشياء السماوية والروحية، وتألّف الكنيسة الظاهرية من الأشياء المادية. وقد تجددت الكنيسة الداخلية براحيل، والظاهرية بليئة. ولكن بما أن يعقوب، أو بمعنى أدق أحفاده الذين تدل عليهم التوراة باسم «يعقوب»، كانوا لا يريدون سوى الكنيسة الظاهرية، أو الخدمة الإلهية في الظاهر، فإن ليئة أعطيت زوجة ليعقوب قبل أن تعطى له راحيل. لقد جددت ليئة التي كانت ضعيفة البصر، الكنيسة اليهودية، وجدّدت راحيل الكنيسة الجديدة، كنيسة الوثنيين. ولذلك اعتمد الأنبياء «يعقوب» بالمغزيين، فهو يعني وفق أحدهما الكنيسة اليهودية الفاسدة، ووفق الآخر كنيسة الوثنيين الظاهرية الحقة. أما عندما يجري الحديث عن الكنيسة الداخلية، فإنه يدعى «إسرائيل»، وسوف نتحدث عن هذا لاحقاً بنعمة الرب ورحمته.

423. لقد دعي توبلقايين «معلم كل الحرفيين»، ولم يُدع «أباً» لهم، كما يابل ويوبل. ويكمن سبب ذلك في أن الأشياء السماوية والروحية، أي الأشياء الداخلية لم تكن قد وجدت بعد. وقد دُعي يابل ويوبل «أبوين» للدلالة على كون هذه الأشياء قد وجدت للمرة الأولى؛ بينما كانت الأشياء الطبيعية، أو الخارجية، قد وجدت من قبل، لكنها انضمت الآن إلى الأشياء الداخلية؛ ولذلك لم يُدع توبلقايين «أباً» بل «معلم كل الحرفيين».

424. وتدلّ كلمة «حرفي» في الكتاب المقدس على الإنسان الحكيم، العاقل، والواسع المعرفة، ويعني «النحاسون والحدادون» هنا أناساً يمتلكون معرفة الخير الطبيعي وحقائق الطبيعة. يقول يوحنا:

ورفع ملاك قوي حجراً كرحى عظيمة ورمى به في البحر قائلاً: هكذا تلقى بابل، المدينة العظيمة، ولن توجد من بعد. فلن تسمع فيها بعد ذلك أصوات العازفين على العود، والمغنين والزمارين والنافخين في الأبواق؛ ولن يوجد فيها صانع من أي صناعة كانت،...

(رؤيا يوحنا. 18: 21، 22)

وهنا كما من قبل، يرمز «العازفون على العود» إلى الحقائق؛ و«النافخون في الأبواق» إلى خير الإيمان؛ و«الصانعون» إلى العازفين، أي الذين يمتلكون معارف الحقيقة والخير. يقول أشعياء:

إن التمثال يسبكه الصانع ويمد عليه الصائغ صفائح من الذهب ويصوغ له سلاسل من الفضة. ومن أعوزته هدية انتخب عوداً لا ينخر، وطلب له صانعاً حاذقاً ليهيِّئ منه تمثالاً لا يتزعزع.

(أشعياء. 40: 19، 20)

والحديث يجري هنا عن الذين يصنعون من الوهم كذباً: «تمثالاً»، ويقدّمونه على أنه حقيقة. يقول إرميا:

إنهم جميعاً بلدوا وحمقوا؛ وإنما تعاليم الأصنام تعاليم فارغة: إنها خشب. إنها تجلب لصنعها الفضة المطرّقة من ترشيش، والذهب من اوفاز، فإنما هي صنع الصانع ومن يدي الصائغ؛ ولباسها البنفسج والأرجوان، فهي بجملتها صنع أناس مهرة.

(إرميا. 15: 8-9)

إن هذه الكلمات تعني أولئك الذين يعلمون الباطل ويجمعون من الكتاب ما يستخدمونه لبناء تلفيقاتهم، ولذلك دعا هذا كله «تعاليم فارغة»، و«صنع أناس مهرة». وفي الأزمنة القديمة كان مثل هؤلاء يتمثلون في أصحاب الحرف الذين يسكبون الأصنام، أي الباطل، التي كانوا يزينونها بالذهب، أي بما يشبه الخير،

وبالفضة، أو بما يظهر أنه حقيقة، وبالبنفسج والأرجوان، أو بالأشياء الطبيعية التي بدت لهم أنها مناسبة.

425. ولا يعرف العالم حتى اليوم أن «النحاس» خير طبيعي، وأن كل معدن ورد ذكره في الكتاب، له مغزى مكنون محدد. «فالذهب» على سبيل المثال، يعني الخير السماوي و«الفضة» الحقيقة الروحية، و«النحاس» الخير الطبيعي، و«الحديد» الحقيقة الروحية، و«النحاس» الخير الطبيعي، و«الحديد» الحقيقة الطبيعية، و...؛ والشيء عينه ينسحب على «الخشب» و«الحجر». وهذا هو معنى «الذهب»، و«الفضة»، و«النحاس»، و«الخشب» في فلك نوح، وفي خيمة العهد، وفي المعبد، وهذا ما سنتحدث عنه لاحقاً بنعمة الرب ورحمته. ويبدو واضحاً لدى الأنبياء ما كانت تعنيه هذه الأشياء، فيقول أشعياء:

وسوف تقتاتين بلبن الشعوب، وترضعين ثدي الملوك. سآتيك بالذهب بدل النحاس، وبالفضة بدل الحديد، وبالنحاس بدل الخشب، وبالحديد بدل الحجارة، وأجعل **لولاتك السلام ولمسخّريك العدل.**

(أشعياء. 60: 16-17)

إن الحديث يجري هنا عن مجيء الرب، عن ملكوته وعن الملكوت السماوي. «فالذهب بدل الحديد» تعني الخير السماوي بدل الخير الطبيعي؛ و«الفضة بدل الحديد» تعني الحقيقة الروحية بدل الحقيقة الطبيعية؛ و«النحاس بدل الخشب» تعني الخير الطبيعي بدل الخير الجسدي؛ و«الحديد بدل الحجارة» تعني الحقيقة الطبيعية بدل الحقيقة الحسية. يقول حزقيال:

ياوان وتوبل **وماشك تاجروا معك، وبادلوا بسلعهم نفوساً بشرية وآنية من نحاس.**

(حزقيال. 27: 13)

والكلام هنا يجري عن مدينة صور التي رمز إليها بالناس الذين يملكون ثروات روحية وسماوية؛ وتدل «آنية النحاس» على الخير الطبيعي. يقول موسى:

أرضاً لا تأكل خبزك فيها بتقتير، ولا يعوزك فيها شيء، أرضاً من حجارتها الحديد، ومن جبالها تقطع النحاس.

(تثنية 8: 9)

وتعني الحجارة هنا أيضاً، الحقيقة الحسية؛ و«الحديد» الحقيقة الطبيعية، أي العقلانية، ويعني «النحاس» الخير الطبيعي. وقد رأى حزقيال. أربعة حيوانات، أو أربعة من الكيروبيم كانت أرجلها تبرق كالنحاس المصقول (حزقيال. 1: 7). وهنا أيضاً يعني النحاس الخير الطبيعي، لأن «رجل» الإنسان تمثل ما هو طبيعي. ومثل هذا يظهر في رؤيا دانيال:

رفعت طرفي ورأيت فإذا برجل لابس كتاناً وحقواه منطقان بذهب من اوفاز. وجسمه كالزبرجد... وذراعاه ورجلاه كمنظر النحاس الصقيل...

(دانيال. 10: 5، 6)

لقد بينا سابقاً أن «الثعبان النحاسي» (عدد 21: 9)، كان يمثل خيرات الرب الحسية والطبيعية.

426. كما يتضح مما قاله حزقيال. عن صور، أن «الحديد» يعني الحقيقة الطبيعية:

ترشيش تتجر معك في كثرة كل غنى، وتدفع ثمن بضائعك فضة، وحديداً، وقصديراً، ورصاصاً. واشترى دان ویاوان بضائعك بالغزل والحديد المصنوع؛ وبادلوا في سوقك السليخة وقصب الذريرة.

(حزقيال. 27: 12، 19)

ويتّضح من هذه الكلمات كما من كل ما سبق وما سيأتي في هذا الإصحاح، أن الكلام يدور عن القيم السماوية والروحية؛ وأن كل مادة وكل اسم ورد هنا إنما له مغزى محدد، لأن كلمة الرب روحية، وليست مجرد لائحة عادية من الكلمات.

2. يقول إرميا:

هل يحطم الحديد حديد الشمال والنحاس؟ سأدفع غناك وكنوزك نهباً بلا ثمن لأجل كل خطاياك في جميع تخومك.

(إرميا. 15: 12، 13)

ويعني «الحديد» و«النحاس» هنا الحقيقة الطبيعية والخير الطبيعي؛ و«الشمالي» يعني الحسي والطبيعي، لأن الطبيعي بالمقارنة مع الروحي والسماوي،

يشبه الظلام الدامس، أو «الشمال» بالنسبة للنور، أو «الجنوب»، أو كالظل الذي أشير إليه هنا «بصلّة» التي تعد «أمّ» ما هو طبيعي. ومن الواضح أيضاً أن «الغنى» و«الكنوز» هما قيمتان سماويتان روحيتان. يقول حزقيال:

3. **وأنت فخذ لك طاجناً من حديد واجعله سوراً من حديد بينك وبين المدينة، وثبّت وجهك عليها فتصير تحت الحصار فتحاصرها.**

(حزقيال. 4: 3)

ويتضح هنا أيضاً أن «الحديد» يعني الحقيقة، إذن تنسب الحقيقة إلى القوة، لأن أي شيء يكون عاجزاً عن مواجهتها. ولهذا أيضاً قيل عن الحديد الذي يعني الحقيقة، أي حقيقة الإيمان، إنه «يطحن»، و«يسحق»، كما ورد لدى دانيال 2: 34، 40، وعند يوحنا:

ومن غلب وحفظ أعمالي إلى المنتهى، فإني اوتيه سلطاناً على الوثنيين، فيرعاهم بعصا من حديد، وكآنية خزف يتحطمون.

(رؤيا يوحنا. 2: 26، 27)

ويقول أيضاً:

فولدت ولداً ذكراً مقدراً له أن يرعى جميع الشعوب بعصاً من حديد.

(رؤيا يوحنا. 12: 5)

إن «العصا الحديدية» تعني الحقيقة التي لكلمة الرب، وهذا ما فسره يوحنا. بقوله:

ورأيت السماء قد انفتحت، وإذا بفرس أبيض، والراكب عليه يسمى الأمين والصادق، وهو يقضي ويحارب بالعدل. وعليه ثوب مصبوغ بالدم، واسمه كلمة الله. ومن فيه يخرج سيف صارم ذو حدين ليضرب به الشعوب. وهو سيرعاهم بعصا من حديد.

(رؤيا يوحنا. 19: 11، 13، 15)

427. (الآية 23). وقال لامك لامرأتيه عادة وصلّة: اسمعا قولي يا امرأتي لامك وافهما كلامي: إني قتلت رجلاً لجرحي وطفلاً صغيراً لكسري.

«لامك» يعني الخراب، وهذا ما اشرنا إليه من قبل. «وقال لامرأتيه عادة وصلّة: اسمعا قولي». إن هذا يعني اعترافاً لا يمكن أن يحدث إلا حيث ثمة كنيسة وقد أشير إليها «بامرأتيه»، كما رأينا من قبل. «إني قتلت رجلاً لجرحي»، تعني أنه أطفأ الإيمان، لأن «الرجل» يرمز إلى الإيمان «وطفلاً صغيراً لكسري»، تعني أنه أطفأ الرحمة. أما «الجرح» و«الكسر» فيشيران إلى أنه لم يبق شيء بعد؛ «فالجرح» يعني نهب الإيمان، و«الكسر» يعني تدمير الرحمة.

428. ويتضح من محتوى هذه الآية والآية التي تليها، أن لامك يعني الخراب، لأنه قال: إنه «قتل رجلاً» و«طفلاً صغيراً»، إنه ينتقم لقايين سبع مرات، أما للامك «فبسبعة وسبعين ضعفاً».

429. ويتبين من الآية الأولى في هذا الإصحاح، أن «الرجل» يعني الإيمان، فقد قالت حواء بعد أن ولدت قاين: «قد رزقت رجلاً من عند الكائن»، ويعني هذا تعاليم الإيمان التي دُعيت «رجلاً، كائناً». ويتضح هذا أيضاً مما بيّناه سابقاً بصدد الرجل، وأنه يعني التعقل الذي ينتمي إلى الإيمان. ويظهر من هذا أيضاً أنه اجتث الرحمة التي دُعيت هنا «طفلاً صغيراً» أو «وليداً»، لأن من يرفض الإيمان ويقتله، يرفض في الوقت نفسه الرحمة النابعة من الإيمان ويقتلها.

430. ويعني «الطفل الصغير» أو «الوليد»، يعني البراءة في الكتاب المقدس، وكذلك الرحمة، لأن البراءة الحقة لا يمكن أن يكون لها وجود من غير الرحمة، كما لا وجود للرحمة الحقة من غير البراءة. وثمة مستويات ثلاثة للبراءة تتمايز في الكتاب المقدس كما يتمايز «الوليد»، و«الطفل»، و«الفتى». وبما أن البراءة الحقة لا يمكن أن تكون موجودة من غير المحبة الحقة والرحمة الحقة، فإن «الوليد» و«الطفل» و«الفتى»، يرمزون إلى ثلاث مستويات من المحبة: المحبة الرقيقة، وهي محبة الوليد لأمه أو مربيته؛ والمحبة التي تشبه محبة «الطفل» لوالديه؛ والرحمة التي تشبه تلك التي يكنّها الفتى لمرشده؛ يقول أشعياء:

فيسكن الذئب مع الحمَل، ويربض النمر مع الجدي، ويكون العجل والشبل والثور معاً وصبي صغير يسوقها.

(أشعياء. 11: 6)

«فالحمل» و«الجدي» و«العجل» هنا، ثلاثة مستويات من البراءة والمحبة؛ و«الذئب»، و«النمر»، و«الشبل» نقائضهم، أما «الصبي الصغير» فيمثل الرحمة، يقول إرميا:

فالآن هكذا قال الرب إله الجنود، إله إسرائيل: لماذا تصنعون هذا الشر العظيم العائد على أنفسكم، إذ تستأصلون منكم الرجل والمرأة، والصبيان والولدان من يهوذا، حتى لا تبقى فيه بقية.

(إرميا. 44: 7)

«الرجل والمرأة» يرمزان إلى أشياء الإدراك والإرادة، أو الحقيقة والخير، و«الصبيان والولدان» إلى مستويات المحبة الأولى. وتبين كلمات الرب التي ساقها لوقا، أن «الوليد» و«الطفل» يعنيان البراءة والرحمة:

وقدموا إليه الأطفال ليلمسهم، فلما رآهم التلاميذ زجروهم. فقال يسوع: دعوا الصغار يأتون إلى ولا تمنعوهم، لأن لمثل هؤلاء ملكوت الله. الحق أقول لكم: من لا يقبل ملكوت الله كأنه ولد صغير فلن يدخله أبداً.

(لوقا 18: 15، 17)

ودعا الرب نفسه «ولداً» أو «طفلاً» (أشعياء. 9: 6)، لأنه هو البراءة عينها والمحبة عينها. ودعي في النص نفسه: «عجيباً، مشيراً، إلهاً، بطلاً، أبا الأبد وأمير السلام».

431. ويعني «الجرح» و«الكسر» أنه لم يعد ثمة شيء بعد؛ «فالجرح» يعني خراب الإيمان، و«الكسر» اجتثاث الرحمة، وهذا واضح من كون «الجرح» يخص الإيمان، و«الكسر» يخص «الطفل». وقد وصف خراب الإيمان واجتثاث الرحمة بالكلمات نفسها لدى أشعياء:

من أخمص القدم إلى فروة الرأس ليس فيه مكان سليم، بل علل، وكسور، وجروح متقيحة، لم تعصب ولم تلن بدهن.

(أشعياء. 1: 6)

ففي هذا النص تنتمي «العلل» إلى خراب الإيمان، و«الكسور» إلى اجتثاث الرحمة، و«الجروح» إلى هذا وذاك.

432. (الآية 24). وإذا كان الانتقام لقايين بسبعة أضعاف، فإن الانتقام للامك بسبعة وسبعين ضعفاً.

إن هذه الكلمات تعني أن الناس أطفؤوا الإيمان الذي كان يدعى «قاين»، وهو ما كان انتهاكه محرّماً، وفي الوقت نفسه دمروا الرحمة التي نشأت عبر الإيمان وكان انتهاكها محرّماً أيضاً؛ وتعني كذلك أن هذا الانتهاك قد استدعى الدينونة، أي الثار «سبعاً وسبعين مرة».

433. و«ينتقم لقاين بسبعة أضعاف» تعني أن انتهاك الإيمان المسمى «قاين» كان كفراً. و«سبعة وسبعون ضعفاً» تعني أن الكفر أشد، وأن نتيجته هي اللعنة، وهو ما يوضحه مغزى قوله: «سبعة وسبعين». فقدسية العدد «سبعة» تأتي من كون «اليوم السابع» يعني الإنسان السماوي، الكنيسة السماوية، الملكوت السماوي، وبالمغزى الأسمى، الرب نفسه. ولذلك فإن العدد «سبعة» يعني في كل مكان يرد فيه في الكتاب المقدس، ما هو مقدس وراسخ؛ وهذه القدسية والرسوخ ينتميان إلى الموضوع الذي نتحدث عنه أو يتوافقان معه. والأمر نفسه ينسحب على مغزى العدد «سبعين» الذي يضم سبعة قرون، لأن القرن يتألف في الكتاب المقدس من عشر سنوات. وعندما كان من الضروري الحديث عن شيء ما في غاية القداسة أو التحريم، كانت الناس تستخدم التعبير: «سبعاً وسبعين مرة». فالرب يسوع مثلاً قال: إنه ينبغي مسامحة الأخ لا سبع مرات وحسب، بل سبعين مرة سبع مرات (متّى. 18: 229)؛ ويفهم من هذا أنه كان ينبغي أن يسامح الناس بعضهم بعضاً بقدر ما يخطئ أحدهم بحق الآخر، أي إلى ما لا نهاية، إلى الأبد، وهنا تكمن قدسية العدد سبعة ومشتقاته. وهنا أيضاً فإن «ينتقم للامك سبعة وسبعين ضعفاً» تعني اللعنة على من ينتهك حرمة كل ما يعد الأكثر قدسية.

434. (الآية 25). وعرف آدم امرأته أيضاً فولدت ابناً وسمته شيثاً، وقالت: لأن الله أقام لي نسلاً آخر بدل هابيل الذي قتله قاين.

إن المقصود «بآدم» و«امرأته» هنا، هو كنيسة جديدة أشير إليها سابقاً «بعادة وصلّة». وأشير بابنها شيث إلى إيمان جديد كان يمكن أن تنشأ عبره رحمة جديدة. وقد «أقام الله لي نسلاً آخر بدل هابيل الذي قتله قاين». إن هذه الكلمات تعني أن الرحمة التي عزلها قاين وأطفأها، قد وهبها الرب الآن لهذه الكنيسة.

435. وليس ثمة من يستطيع حسب المغزى الحرفي أن يعرف ويستنتج أن «آدم» و«امرأته» يعينان هنا كنيسة جديدة أشير إليها أعلاه بعادة وصلّة، لأن «آدم وامرأته» كانا يعنيان من قبل الكنيسة الأولى وذريتها. بيد أن هذا واضح من المغزى المكنون، ومن أنه في الإصحاح التالي (5: 1-4) يجري الحديث، ولكن بكلمات أخرى عن آدم وامرأته وأنهما أنجبا شيثاً. وفي هذه الحال فإن الحديث يجري عن الذرية الأولى للكنيسة الأولى. ولو كان هذا يشير إلى شيء آخر، لما كانت هناك ضرورة لتكراره. ويمكننا أن نقف على شيء مشابه في الإصحاح الأول، حيث يجري الحديث عن خلق الإنسان، وعن ثمار الأرض، وعن الحيوانات، ثم يتكرر هذا ثانية في الإصحاح الثاني. وكما قلنا فإن السبب يكمن في أن الكلام يجري في الإصحاح الأول عن خلق الإنسان الروحي، بينما يجري في الإصحاح الثاني عن خلق الإنسان السماوي. وفي كل مرة نلقى فيها مثل هذا التكرار، يكون ثمة اختلاف في المغزى، بيْد أن معرفة المغزى الحقيقي غير ممكنة إلا وفق المغزى المكنون فترابط الأحداث هنا يؤكد المغزى المعطى؛ زد إلى هذا أن «آدم وامرأته» يمثلان مفهومين عامين يعنيان كنيسة الوالدين التي يجري الحديث عنها هنا.

436. ويعني «ابنها» الذي دعته شيثاً، يعني إيماناً جديداً يمكن أن تنشأ الرحمة عبره. وهذا واضح تماماً مما قيل من قبل، وكذلك مما قيل عن وضع علامة على قاين «كي لا يقتله أحد». والمغزى في هذا السياق هو أن «قاين» هو الإيمان المعزول عن المحبة، وأن هابيل هو الرحمة. وقتل قاين لهابيل يعني قتل الرحمة المعزولة عن المحبة؛ أما العلامة التي وضعها الكائن على قاين كي لا يقتله أحد، فإنها تعني الحفاظ على الإيمان لكي يستطيع الرب أن يزرع الرحمة عبره. ويعني يابل الذي

ولدته عادة، أن قدسية المحبة والخير النابع منها قد وهبها الرب عبر الإيمان؛ ويعني أخوه يوبل تجلي الإيمان؛ أما توبلقاين الذي ولدته صلّة، فهو يعني الخير الطبيعي النابع منهما. وفي هاتين الآيتين الختاميتين خلاصة مفادها أن «آدم» وامرأته» يعنيان كنيسة جديدة كانت من قبل تُدعى عادة وصلّة، وإن «شيث» يعني الإيمان الذي تزرع الرحمة عبره؛ وفي الآية التالية يعني «أنوش» الرحمة المزروعة عبر الإيمان.

437. إن «شيث» يعني هنا الإيمان الجديد الذي تزرع الرحمة عبره. وهذا ما يفسره الاسم الذي أعطي له، لأن الرب «جعل نسلاً آخر بدل هابيل الذي قتله قاين». و«النسل» الآخر الذي جعله» الرب، يعني أن الرب وهب إيماناً آخر؛ لأن «النسل الآخر» هو الإيمان الذي نشأت عبره الرحمة. ويبيّن لنا المقطع 255 أن «النسل» يعني الإيمان.

438. (الآية 26). ولشيث أيضاً ولد ابن وسماه أنوش. حينئذٍ ابتدأ الناس يدعون باسم الكائن.

إن «شيث» يعني كما قلنا، الإيمان الذي تنشأ الرحمة عبره؛ و«ابنه» «أنوش» يعني الكنيسة التي كانت الرحمة أهم عناصرها. «حينئذٍ ابتدأ الناس يدعون باسم الكائن» تعني أن الخدمة الإلهية في هذه الكنيسة كانت تنبع من الرحمة.

439. ونحن كنا قد بيّنا أن «شيث» يعني الإيمان الذي تنشأ عبره الرحمة. وكون «ابنه أنوش» يعني الكنيسة التي كانت الرحمة أهم عناصرها، هو أمر رأيناه في ما مر معنا سابقاً، كما ظهر أيضاً في منحه اسم «أنوش» الذي يعني «إنسان»، ولكن ليس الإنسان السماوي، بل الإنسان الروحي الحق الذي دُعي هنا «أنوش». والشيء نفسه واضح في الكلمات التي تلي مباشرة: «حينئذٍ ابتدأ الناس يدعون باسم الكائن».

440. و«حينئذٍ ابتدأ الناس يدعون باسم الكائن» تعني أن الخدمة الإلهية في هذه الكنيسة كانت تنطلق من الرحمة. وهذا واضح من كون «الدعوة باسم الكائن» تعدّ تعبيراً معتاداً وعامّاً لخدمة الرب كلها. وكون هذه الخدمة الإلهية كانت تنطلق من الرحمة، واضح من أن ما يذكر هنا هو اسم «الكائن»، بينما في

الآية السابقة يدعى «إلهاً». وهذا واضح كذلك من كون الرب لا يمكن أن يبجل إلا انطلاقاً من الرحمة، لأن التبجيل الحق لا يمكن أن ينطلق من الإيمان غير المتحد مع الرحمة، فمثل هذا التبجيل يكون صادراً عن الفم لا من القلب. ويتبيّن من الكتاب المقدس أن «الدعوة باسم الكائن» تعدّ تعبيراً معتاداً وعامّاً لخدمة الرب كلها؛ وقد قيل عن ابرام إنه «بنى مذبحاً للكائن ودعا باسم الكائن» (تكوين 12: 8؛ 13: 4)؛ وأنه «غرس شجراً في بئر سبع ودعا هناك باسم الكائن الإله السرمدي» (تكوين 21: 33). ويتضح من قول أشعياء. أن هذا التعبير ينطوي على الخدمة الإلهية كلها:

لكنك لم تلتمسين يا يعقوب، بل سئمت مني يا إسرائيل. لم تأتني بشاة لذبيحة محرقة، ولم تكرمني بقرابينك، مع أني لم أثقل عليك بتقدمة، ولا أرهقتك بطلب اللبان.

(أشعياء. 43: 22، 23).

إن هذه الأسطر تنطوي على عرض مختصر لكل الخدمة الإلهية الأصل.

441. ويدل ما قلناه سابقاً عن الكنيسة الأولى، أن الناس لم يبدؤوا حينئذٍ يدعون باسم الكائن لأول مرة، فهذه الكنيسة كانت أكثر الكنائس تعبداً للرب وخدمة له؛ كما يتضح هذا أيضاً من تقديم هابيل قربانه من أبكار غنمه. ولذلك فإن «الدعوة باسم الكائن» لا تعني هنا أي شيء آخر سوى الخدمة الإلهية في الكنيسة الجديدة بعد تحطيم الكنيسة السابقة على أيدي من حملوا اسم «قاين»، واسم «لامك».

442. ويتّضح مما تقدم عرضه في هذا الإصحاح، أن الزمن القديم عرف عدداً من التعاليم المعزولة عن الكنيسة، كما عرف كذلك هرطقات كان لكل منها اسمه الخاص به. وقد تجاوزت تلك التعاليم والهرطقات المستقلة عمق الفكر الراهن، لأن روح ناس ذلك الزمن كانت هكذا.

بعض الأمثلة المستقاة من تجربة التواصل مع الأرواح:
كيف كانوا يفكرون بالروح أو النفس في أثناء عيشهم في الجسد

443. في الحياة الأخرى يمكنك أن ترى بوضوح، أي تصور كان لدى الناس عن الروح، وعن النفس والحياة بعد الموت، حينما كانوا يعيشون في الجسد؛ لأنه عندما تحتجز النفس في مثل الحال التي مكثت فيها في الجسد، فإنها تفكّر بطريقة مماثلة، ويمكن سماع أفكارها بوضوح ودقة كما لو كانت تتحدث بصوت مسموع. وقد عرفت مرة من أحدهم إثر وفاته مباشرة، أنه كان يؤمن فعلاً بوجود النفس، لكنه ظن أنه كالنفس، ينبغي عليه أن يعيش وجوداً غامضاً. وكان يفكّر على هذا النحو لأنه ظن أنه إذا ما سلب الجسد الحياة فإنه يجب أن يبقى ثمة شيء ما مبهم وغير محدد؛ ولأنه كان ينسب الحياة للجسد، لذلك كانت فكرته عن النفس تماثل فكرته عن الشبح. وقد ترسخت هذه التصورات عنده من خلال مراقبته للحيوانات التي كانت لها حياتها أيضاً، ولم تكن هذه تختلف كثيراً عن تلك التي للبشر. أما الآن فقد أذهله أن رأى الأرواح والملائكة يعيشون في نور عظيم، وفي إدراك وحكمة وسعادة أعظم، وهم يملكون مثل هذا الإدراك الحسي الكامل الذي لا يمكن وصفه. وعلى هذا النحو فإن حياتهم بعيدة البعد كله عن أن تكون مبهمة، بل إنها واضحة ودقيقة تماماً.

444. ومرة تحدثت إلى أحدهم الذي كان يؤمن في حياته الدنيا بأن الروح غير محدود، وعلى هذا الأساس كان يرفض المصطلحات التي تنطوي على مغزى مكاني. فسألته كيف يفكر الآن نفسه إذ يرى أنه بات روحاً يملك حاسة البصر، والسمع، والشم، واللمس، كما يملك رغبات وأفكاراً بمعيار يجعله يحس بنفسه كأنه موجود في الجسد. وإذ يبقى هو نفسه في تلك التصورات التي كان يملكها إبان حياته الدنيا، قال: إن الروح فكرة. بيد انه أذن لي أن اسأله: ألم يكن يعرف إبان عيشه في الدنيا أن الرؤية الجسدية مستحيلة بغير جهاز بصري: عينين؟ وكيف يمكن عندئذٍ أن تكون الرؤية الداخلية أو التفكير؟ ألا ينبغي أن يكون لها شيء

من طبيعة حية تؤدي وظيفتها بفضله؟ عندئذٍ أقر بأنه كان يعيش أبان حياته الجسدية في ضلال، وأن الروح ليس سوى فكرة لا حياة فيها ولا حدود تحدها. فأضفت، إنه لو كان الروح أو النفس مجرد فكرة، لما كان الإنسان بحاجة إلى مثل هذا الدماغ الكبير، آخذاً بالحسبان في هذا السياق أن الدماغ كله يعد جهازاً للأحاسيس الداخلية. ولو لم يكن الأمر على هذا النحو لكان يمكن أن تكون الجمجمة فارغة، ولكان يمكن أن تؤدي فيها الفكرة عملها كروح. وانطلاقاً من هذه المحاكمات، وبناء على معرفتي بتأثيرات الروح في العضلات التي تثير هذا التنوع الكبير من الحركات قلت له، إنه يمكنه أن يكون على يقين بأن الروح هو طبيعة حية. فأقر بعدئذٍ بأخطائه واستغرب إلى أي حد كان غبياً.

445. وقيل لي زيادة على ذلك، أن العلماء لا يؤمنون بأي شيء آخر سوى أن الروح أو النفس التي سوف تحيا بعد الموت، هي فكرة مجردة وحسب. وهذا واضح من رفضهم لأي تسميات لها أي شيء من التحديد، وأي أشياء لها طبيعة محددة، ويعلّلون رفضهم هذا بكون الفكرة المعزولة عن الشيء تعد عنصراً لا مكانياً، بينما الشيء وموضوع الفكرة عنصران مكانيان. وإذ يدرك الناس الموضوعات اللامكانية فإنهم يرسمون لها حدوداً، يجعلونها مقيسة. ومن هذا يتضح أن العلماء يتخيلون الروح أو النفس مجرد فكرة وحسب. إنهم على يقين بأن الروح يندثر بعد الموت.

446. لقد رويت للأرواح عن الرأي السائد بين الناس الذين يعيشون الآن، وتحديداً عن عدم إيمانهم بوجود الروح، لأنهم لا يرونه بأم العين، ولا يستطيعون إدراكه بمساعدة العلم الطبيعي. ولا تقتصر النتيجة على رفضهم كون الروح شيئاً ما مكانياً، بل يتعدى الأمر هذا إلى رفضهم أن يكون الروح كائناً، فيتجادلون حول تعريف الكائن. وبما أنهم لا يقرون بأن الروح شيئاً ما مكانياً، ويختلفون في رؤاهم لطبيعة الكائن، فإنهم يرفضون أيضاً كون الروح موجوداً في كل مكان، بالتالي لا يقرّون وجوده في الجسم البشري. مع أنه يمكن لأيّ إنسان بسيط أن يعرف أن روحه أو نفسه موجودة في داخل جسده. وعندما قلت هذا، استغرب بعض الأرواح أن يكون الناس على هذه الدرجة من الغباء. وعندما سمعوا بالمصطلحات

التخصصية التي يتجادل الناس فيها مثل: «الأجزاء خارج الأجزاء» وما شابه، رأوا فيها مجرد هراء لا طائل منه، ولا ينبغي على العقل البشري أن ينشغل بمثل هذه الغباءات والتداخلات، لأنها تغلق كل طريق إلى الإدراك الحقيقي.

447. وسألني أحدهم، وكان قد صار روحاً لتوه: «ما هو الروح»؟ لأنه ظن أنه لا يزال إنساناً. فقلت له، إن الروح موجود في كل إنسان، وأن الإنسان بالنسبة لحياته، هو روح، أي أن الروح هو الحياة في داخل الإنسان. أما الجسد فهو مجرد وسيلة لحياة الإنسان على الأرض، وأن الجسد والعظام، أي الجسم بحد ذاته لا يعيش ولا يفكّر. وإذ رأى نفسه في حالة ارتباك ولبس سألته: هل سمعت يوماً عن الروح؟ فأجاب: «وما هو الروح؟ أنا لا أعرف شيئاً عن هذا». عندئذٍ أجيز لي أن أخبره بأنه بات الآن روحاً أو نفساً، لأنه يمكنه أن يرى أن يرف فوق رأسي، ولا يقف على الأرض. فسألته: ألا يحس هو نفسه بهذا؟ ففر مذعوراً وهو يصيح: «أنا روح! أنا روح»!.

وكان هناك يهودي لا يزال يظن أنه إنسان ويعيش في الجسد، وكان ظنه هذا راسخاً إلى حد اليقين. وعندما تبين له أنه قد بات الآن روحاً بقي على عناده مؤكداً أنه إنسان لأنه لا يزال بمقدوره أن يرى ويسمع. أولئك هم الناس الجسديون الذين يدغمون أنفسهم إبان الحياة الدنيا بجسدهم. وكان يمكن سوق عدد آخر من الأمثلة التي تؤكد على أن في الإنسان روح، وإليه لا إلى الجسد، تنتمي الأحاسيس كلها.

448. لقد تحدثت إلى كثير من الأموات الذين عرفتهم في هذه الحياة، وقد استمر حديثي معهم لزمن طويل بعض الشيء: لأشهر، بل لسنوات كنت أتحدث إليهم بملء صوتي الداخلي، كأنهم أصدقائي في هذا العالم. وكان حديثنا يتناول أحياناً حالة الإنسان بعد الموت. وقد أذهلهم تماماً أن أحداً لم يكن يعرف إبان الحياة الدنيا ولم يكن يؤمن بأن الإنسان سوف يعيش بعد حياته الجسدية، وسوف يشعر بوجوده كما كانت عليه الحال في السابق. ويكون استمرار الحياة في غضون ذلك على نحو تتحول فيه من حياة باهتة مبهمة إلى حياة ساطعة منيرة، بينما حياة الناس المؤمنين بالرب تتحول إلى حياة يتزايد نورها دوماً. لقد طلبوا مني أن

أنقل إلى أصدقائهم أنهم أحياء. وطلبوا أيضاً أن أكتب عن حالهم بعد أن رويت لأصدقائهم مثل هذه الأشياء أو كتبت عنها، فإنهم في الأحوال كلها لن يصدقوني، بل سوف يدعون هذا كله بالتهيّؤات المَرَضية، وسوف يسخرون مني ويطلبون آيات أو عجائب قبل أن يؤمنوا، وعلى هذا النحو أكون قد وضعت نفسي موضع هزئهم وسخريتهم. أما كوني أقول الحقيقة، فقد يؤمن أحد ما بذلك. لأن الناس بقلوبهم ينكرون وجود الأرواح، وحتى الذين لا ينكرون ذلك لا يودون أن يسمعوا شيئاً عن إمكانية كل إنسان أن يتواصل مع الأرواح. وفي الأزمنة القديمة لم يكن ثمة وجود لعدم الإيمان بالأرواح هذا، لكن الناس تسعى الآن إلى إدراك ماهية الروح عبر الاستنتاجات المنطقية، فيسلبونه بتعاريفهم وفرضياتهم الأحاسيس كلها، وبقدر ما يريد أحدهم أن يكون عالماً، بقدر ما يفعل ذلك بإصرار أكبر.

obeikandl.com